الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب المقارن و العالمي

تحت عنوان

المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن

من إعداد الطالبين:

- محمد سنوسي
- بلحنافي صلاح الدين

بإشراف الأستاذ :

أ. د. لطروش الشارف

السنة الجامعية : 2021م/2022م

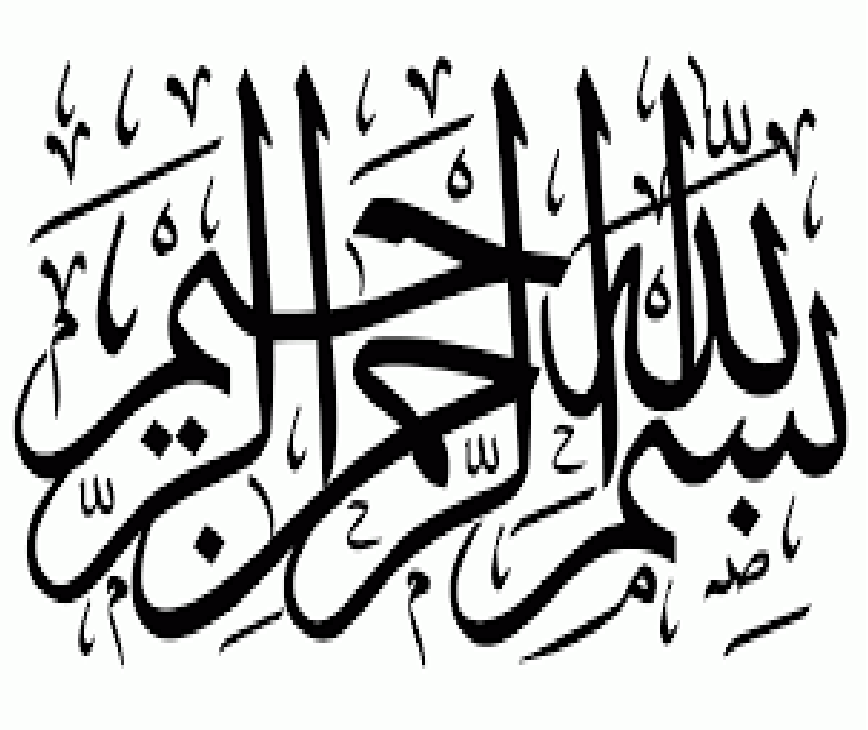
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان :

أول من يشكر ويحمد هو العلي القهار، الأول والآخر، الظاهر والباطن الذي أغرقنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا في انجاز هذا العمل.

والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة، كما نرفع كلمة شكر إلى أستاذنا الدكتور المشرف لطروش الشارف الذي رافقنا في انجازنا لهذا البحث.

كما لا ننسى شكر كل من مدى لنا يد العون من قريب أو بعيد، ونشكر كل أساتذة وعمال قسم اللغة العربية بجامعة مستغانم.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز و جل أن يرزقنا السداد والرشاد، ويوفقنا لكل ما فيه خير لنا و للعباد.

- محمد سنوسي
- بلحنافي صلاح الدين

إهداء:

أهدي ثمرة جهدي هذا :

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي أمي وأبي اللذان كانا عونا لي، وكان لدعائهما المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة.

إلى من ساندتني وخطت معي خطواتي ويسرت لي الصعاب زوجتي الحبيبة والتي تحملت الكثير وعانت حتى وصولي إلى هدفي.

إلى فلذات كبدي ولدي العزيز إبراهيم، ابنتي العزيزة مريم.

إلى أساتذتي و أهل الفضل علي و الذين غمروني بالحب والتقدير والنصيحة والتوجيه والإرشاد.

- محمد سنوسي

إهداء :

أهدي ثمرة جهدي هذا :

إلى روحي والدي الطاهرة، تغمده الله برحمته الواسعة و أدخله فسيح جناته.

إلى والدتي العظيمة حفظها الله و رعاها برعايته.

إلى زوجتي الغالية التي شجعتني في كل لحظة يأس أصابتني.

إلى كل من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث من أساتذة و زملاء.

إلى كل من ساهم في تلقين و لو بحرف في حياتي الدراسية.

- بلحنافي صلاح الدين

المقدمة :

يعد الأدب المقارن من العلوم الحديثة نسبيا، و على الرغم من ممارسته منذ أزيد من قرن ما زال لم يتوفر على تعريف شامل و بسيط له،فقد ظل الباحثون يقدمون تصورات صانعة للمفهوم لم ترتق بعد إلى مفهوم نهائي، و لا إلى فهم متقارب، و يعد الأدب المقارن من المصطلحات المستعصية التي لا يمكن الوقوف على تعريف قار لها.

و تعد المدرسة الفرنسية من المدارس المؤسسة للأدب المقارن، و أقواها تأثيرا بالنظر إلى جملة من العوامل التي أنعشت البحث المقارن في فرنسا، أبرزها سيادة الثقافة الفرنسية في القرن الثامن عشر تزامنا مع الإرهاصات الأولى لظهور هذا التيار العلمي الجديد، هذا ما دعانا لاختيار هذا الموضوع الموسوم بـــ"المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن".

و هناك أسباب أخرى جعلتنا نتحمس للبحث في هذا الموضوع أهمها :

1- الرغبة في معرفة مفهوم الأدب المقارن عن قرب و اكتشاف ميدانه الواسع عند المدرسة الفرنسية.
2- إبراز دور المدرسة الفرنسية في مجال الأدب المقارن.
3- أهمية و فائدة الموضوع كونه من الدراسات الحديثة التي اهتم بها الكثير من الباحثين بغية الوصول إلى الحقيقة.

رغبة منا في معرفة مفهوم الأدب المقارن عن قرب و اكتشاف ميدانه الواسع عندها.

و من هذا المنطلق استوجب المقام في هذا الموضوع أن يتوزع هيكله إلى مقدمة و مدخل وفصلين، أما المدخل فقد حمل عنوان : الأدب المقارن المفهوم و النشأة، حيث عالجنا فيه مفهوم الأدب المقارن و نشأته و أهميته.

و في الفصل الأول الذي حمل عنوان : مدارس الأدب المقارن النشأة و التطور، الذي قسمناه إلى مباحث كان أولها المدرسة الأمريكية، و ثانيها المدرسة السلافية، و ثالثها المدرسة الألمانية، و ختمناه بحال العرب مع الأدب المقارن.

أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان المدرسة الفرنسية النشأة و التطور، حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم المدرسة و نشأتها و تطورها و أهم روادها و خصائص منهجها، و ختمناه بما وجه من انتقادات لها من قبل الباحثين المقارنين الذين ينتمون إليها، و إلى مدارس أخرى خاصة المدرسة الأمريكية.

و أما الخاتمة فقد أودعنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال محاور البحث و عناصره.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع و التي كانت في جلها تتناول الأدب المقارن في نشأته و تطوره و مدارسه المختلفة.

و أما المنهج الذي سرنا عليه في البحث فتراوح بين الوصف و التحليل و المقارنة.

و من البديهي أن يواجه الباحث في بحثه الأكاديمي عراقيل كثيرة و صعوبات جمة، فقد صادفتنا عوائق أهمها قلة المصادر و المراجع التي اختصت بالأدب المقارن بصفة عامة و المدرسة الألمانية بصفة خاصة، كما لا ننسى ضيق الوقت الذي كان مقسما بين الحياة العائلية و العلمية، و مراجعة الدروس و انجاز البحوث.

و أخيرا نود أن نسجل شكرنا العميق إلى كل من كان له فضل بدعمنا و مساعدتنا لإنجاز هذا البحث، و نخص بالذكر أستاذنا الدكتور لطروش الشارف.

مستغانم في : 2022/06/09

الطالبين : - محمد سنوسي

- بلحنافي صلاح الدين

المدخل :

الأدب المقارن

النشأة والمفهوم

- **نشأة الأدب المقارن :**

طبيعي أن يسبق ظهور الأدب المقارن لوصفه علما، وجود ظواهره المختلفة في الآداب العالمية، أي تحقق التأثير و التأثر بين الآداب العالمية، و أقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر ما أثر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني، ففي سنة 146 ق م انهزمت اليونان أمام روما، و لكنها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا و أدبيا، و كثيرا ما يردد مؤرخو الفكر الإنساني أن روما مدينة اليونان في فلسفتها و فنها و نزعتها الإنسانية و أدبها كله[1].

تعود الإرهاصات الأولى لنشأة الأدب المقارن كعلم مستقل بمفهومه الحديث إلى سنة 1827م على يد الباحث الفرنسي "**آبييل فيلمان Vieliman** "، و هو أول من استخدم مصطلح الأدب المقارن باللغة الفرنسية Littérature Comparée حيث وضع الأسس الأولى من خلال محاضراته التي كان يلقيها بجامعة **السربون** حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوربية متناولا فيها التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي و الأدب الإنجليزي، و تأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، وقد كان هدفه من ذلك إبراز دور الآداب الأجنبية في كتابة تاريخ شامل للأدب الفرنسي[2].

في سنة 1830م ألقى "**جون جاك أمبير Jean Jacques Ampère** " في مرسيليا محاضرات في الأدب المقارن، لينتقل بعدها بسنتين إلى باريس ليلقي محاضرات حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأجنبية، و في سنة 1931م أصدر "**فان تيجم P.Van Tieghem** " أول كتاب نظري بعنوان الأدب المقارن، وظل هذا الكتاب مرجعا أساسيا حتى اليوم، و ترجم إلى لغات مختلفة منها العربية، و في منتصف القرن العشرين ظهرت المؤلفات

[1] محمد عنيمي هلال : الأدب المقارن –دار النهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع د ط 1998م. ص 23.

[2] كلود بشوا، أندريه ميشال روسو، بير برونيل، ما الأدب المقارن ترجمة الدكتور غسان السيد، منشورات دار علاء الدين دمشق ط 1، 1996 ص 18.

الفرنسية في الأدب المقارن نظريتا و تطبيقا من أشهرها كتاب "**غويار" الأدب المقارن** سنة 1951م، و ترجم كذلك إلى العربية و بدأت منذ ذات التاريخ تظهر ملامح مدارس الأدب المقارن في طليعتها المدرسة الفرنسية[1].

كما يرجع بعض الباحثين في الدراسات الأدبية المقارنة و تاريخها بوادر نشأة الأدب المقارن إلى القرن التاسع الميلادي و هناك من يرجعها إلى تواريخ سابقة، و غيرهم إلى تواريخ لاحقة، ولكن المنطق لا يقتضي منا أن نقف كثيرا عند هذه الاختلافات[2].

و الواقع أننا لو أخذنا نبحث عن بدايات كل علم من خلال التلميحات الغامضة القديمة له لوجدنا أن جميع العلوم قديمة جدا، لأن أصولها المبدئية موجودة في التجربة الإنسانية و الحاجة الإنسانية إلى العلم، و لكن ما نحن بصدده الآن هو تتبع النشأة الأولى للأدب المقارن بوصفه علما حديثا[3].

لقد ساهمت عدة عوامل في نشأة الأدب المقارن و لعل من أهمها :

1- اتساع البعد المقارناتي لدى الدارسين نتيجة ازدياد العلاقات الثقافية بين الشعوب الأوروبية، فبدأت فرنسا تشعر بتأثير الأدبين الانجليزي و الألماني بعدما كانت مكتفية بالأدبين الإيطالي و الإسباني.

2- **الحركة الرومنتكية Romontisme** : قامت الرومنتيكية على أنقاض الكلاسيكية classicisme في أواخر القرن الثامن عشر و النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد في أوروبا، ظهرت في إنجلترا أولا ثم بلدان غرب أوروبا، حيث

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 66.

[2] كلود بشوا، أندريه روسو الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز ط 3، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ط3، 2001 ص 35.

[3] ينظر، المرجع نفسه ص 94.

مهدت لنشأة الأدب المقارن، و وجهت الدراسات الأدبية وجهه مقارنة، و كانت مبادئها في جملتها معارضة لمبادئ الكلاسيكية[1].

و من أبرز رواد هذا التيار الشاعر "**ألفريد دي موسه Alfred de Musset**" **ت**ـــ1857م الذي عارض "**بوالو Nicoles Boilou**" **ت**1711م في مبدئه الذي يعتمد على العقل[2].

و من أبرز الرومنتكيين الذين بنوا نقدمهم على أسس علمية حيث مهدوا لنشأة الأدب المقارن "**المدام دي ستال**" و "**سانت بوف**".

1- "**مدام دي ستال Mme de Stael**" **ت**1766م/1817م كانت تلجأ في دراستها النقدية إلى ضرب الأمثال بالآداب الأخرى، و إلى تحليل بعض مظاهرها و الإشارة إلى وجوه التشابه بينها تشابها يوجه العقول إلى دراستها اتجاها تطبيقيا، كما لها الفضل كذلك في اتجاهها في دراستها اتجاها تطبيقيا عمليا عززته بكثير من الأمثلة مع شرحها لها بما تعرف من الآداب الأخرى[3]، و لعل من أبرز كتبها **حول ألماني**، و كتاب آخر **الأدب في علاقته بالنظم الاجتماعية**.

2- "**سانت بوف Saint Bouf** "**ت** 1804م/1869م لقد استفاد من التشريح الطبي في التحليل الأدبي كونه درس الطب أولا ثم مال إلى الأدب و النقد و من أشهر كتبه **بور رويال Port Royal** .

كان يبحث في الإنتاج الأدبي من حيث دلالته على المجتمع، كما انتهج في نقده الاتجاه التحليلي التطبيقي، و دعا إلى موازنة النصوص الأدبية بنظائرها من أجل معرفة خصائصها

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 32، 33.

[2] ينظر، المرجع السابق ص 33.

[3] ينظر، المرجع نفسه ص 32، 33.

بوضوح، كما كان يبحث عن عناصر تكوين الكاتب في خارج حدود أمته، فالكاتب عنده قد ينتمي إلى أسرة فكرية عالمية في الآداب الأخرى[1].

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 44، 46.

3- النهضة العلمية :

لقد كان التقدم العلمي سببا من أسباب القضاء على الرومانتيكية في القرن التاسع عشر، ذلك أن جمهور الكتاب و النقاد أخذوا يعتقدون أن العلم سيحل كل المشاكل الإنسانية، و أن منهاجه هي المناهج التي يجب أن يتبعها الأدب و النقد كي يصل إلى نتائج سليمة، فقد كان للعلم بالغ الأثر في موضوعاته، فاتجه النقاد إلى الشرح و البحث عن أصول الأفكار[1].

ومن أشهر المفكرين في هذا العصر "**داروين Charles Darwin**" 1809م/1882م الذي جاء بنظرية النشوء و التطور، و من كتبه **أصل الأنواع**، و على الرغم من أن هذه النظرية ليس لها قيمة إلا أنها راجت رواجا كبيرا، فظهرت بعده كتب عديدة تبحث في أصول الأشياء و النظم الاجتماعية و الأديان، و تفسر الظواهر تفسيرا علميا منها كتاب **الأدب المقارن** للكاتب الإنجليزي "**بوسنت**"[2].

و قد جدت ظاهرة أخرى علمية في القرن التاسع عشر كان لها تأثير مباشر في الاهتمام بالمقارنات الأدبية، ذلك أن علماء القرن اتجهوا إلى المقارنات لاستنباط الحقائق و التعمق في البحث، فنشأ علم الحياة المقارن، و علم التشريح المقارن، و علم الميتولوجيا المقارن، و علم اللغة المقارن، فلا بدع أن يحذو تاريخ الأدب حذوها في اتجاهه نحو الأدب المقارن[3].

- مفهوم الأدب المقارن :

الأدب المقارن هو نهج أو منظور معين في دراسة الأدب، و يتفق جل الباحثين على أن دلالة المصطلح تاريخية لارتباطه بظاهرتي التأثير و التأثر بين الآداب، و ما تعنيه من تأريخ لمظاهر الاحتكاك و الانتقال، و يعرفه "**طه ندا**" في كتابه **الأدب المقارن** بأنه، دراسة الأدب القومي في علاقاته بغيره من الآداب، كيف اتصل هذا الأدب بذاك الأدب، و كيف أثر كل منهما في

[1] ينظر، المرجع السابق ص 47،49.
[2] ينظر، المرجع نفسه ص 49.
[3] ينظر، المرجع نفسه ص 50.

الآخر... و على هذا فالدراسة تصف انتقالا من أدب إلى أدب[1]، مهما كانت مظاهر هذا الانتقال كالصور و الخيال والعواطف و الفنون بذاتها، و تلمس مظاهر العبور تلك هو تأريخ أو تأصيل لها في الوقت نفسه.

و يؤكد "**محمد غنيمي هلال**" المدلول التاريخي للمصطلح بتحديد مجال اهتمامه فهو "يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، و صلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو ماضيها، ولهذه الصلات التاريخية من تأثير و تأثر... ثم ما يمت إلى ذلك من عوامل التأثر و التأثير"[2].

تتأكد أهمية الحديث عن البعد التاريخي لدى رواد هذا التنويه التقليدي بشكل خاص من خلال تركيزهم على دراسة الصلات الأدبية، و من خلال اعتبارهم تلك الصلات و ما يتبعها من تأثر وتأثير الخط الفاصل بين ما هو أدب مقارن و ما هو دون ذلك من الدراسات النقدية الأخرى، و من هنا جاء التركيز على ثبوت الصلة عند التارخيين كشرط أساس لقيام أية مقارنة، فالدراسات المقارنة ما هي إلا "وسيلة من وسائل دراسة التأثر و التأثير بين الأعمال الأدبية و التأريخ للحركات الفنية في إطار أشمل و أوسع هو إطار العالمية"[3].

و قد عرف "**هنري باجو**" الأدب المقارن بأنه "الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب و التأثير و تقريب الأدب من مجالات التعبير و المعرفة الأخرى، أو أيضا الوقائع و النصوص الأدبية فيما بينها، المتباعدة في الزمان و المكان أو المتقاربة شرط أن تعود إلى لغات أو ثقافات مختلفة، تشكل جزءا من تراث واحد من أجل وصفها بصورة أفضل و فهمها و تذوقها[4].

يحدد هذا التعريف المهمة الأولى للدراسة المقارنة، و هي تقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، كأن يقرب نصا أدبيا من عمل سينمائي أو لوحة فنية أو قطعة موسيقية، أو

---

[1] طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 20.

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 29.

[3] إبراهيم عبد الرحمن، الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر د ط 2000م ص06.

[4] دانييل هنري باجو، الأدب العام و المقارن ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط 1997م ص 12.

عندما يقارب بين الأدب و التاريخ، و الأدب و التحليل النفسي أو بينه و بين بقية العلوم، و هو توجه يفتح الباب إلى إمكانية الانتساب إلى لغات و ثقافات متعددة.

و من المصطلحات التي كثيرا ما حدث التباس بينها و بين الأدب المقارن مصطلحا الأدب العام و الأدب العالمي، إذ نجد "**ماريوس فرونسوا غويار M. F Guyard** " يسعى إلى إزالة اللبس حين يحدد المفهوم من زاويتين أما وطنيا "فالأدب المقارن ليس المقابلة فهذه ليست إلا واحدة من طرائق علم يمكن تسميته تاريخ العلاقات الدولية الأدبية"[1]، و أما عالميا فقد "جرت محاولات كثيرة لتوسيع المقارنة حتى –أدب عام– يدرس اللمسات المشركة لعدة آداب، سواء أكان بينها مشتركا أو تواردا، و تبعا لعبارة "**غوته**" الأدب العالمي كان سعي لإيجاد هذا الأدب من الآثار التي نحبها معا، لكن كلا الرأيين كان يبدو في أول الخمسينات ميتافيزيقيا أو غير نافع لدى أغلب المقارنين الفرنسيين"[2].

لقد اكتنف مصطلح الأدب المقارن كثيرا من الغموض منذ نشأته الأولى في الدراسات الغربية، وتعددت تعريفاته و تسمياته، فتسميته أدبا قد يثير الالتباس بوجود إنتاج أدبي يسمى مقارنا، و إنما الموجود هو تلك الدراسات التاريخية المقارنة للآداب، مما حدا "**بغنيمي هلال**" إلى اقتراح تسميته **بالتاريخ المقارن للآداب** أو **تاريخ الأدب المقارن**، معترفا في الوقت نفسه بأن مصطلح الأدب المقارن قد صار الأكثر شيوعا و تداولا رغم نقصه[3]، فقد انتقلت ترجمته الحرفية من الفرنسية إلى جل اللغات الأوروبية باستثناء الألمانية التي استعمل فيها مصطلح أكثر دقة هو **العلم المقارن** بكسر الراء للأدب "و كان يشار به إلى المنهج للعلم المتبع لا إلى موضوع الدراسة –الأدب– و قد شاع خلال القرن التاسع عشر مصطلح آخر في الألمانية هو التاريخ المقارن للأدب[4]، مؤكدا على البعد التاريخي لهذا النوع من الدراسات

[1] ما ريوس فرونسوا غويار، الأدب المقارن ترجمة هنري زغيب، ترجمة عويدات، بيروت لبنان ،ط 2، 1998م ص 7.

[2] ينظر، المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[3] غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 13.

[4] كلود بشوا، أندري روسو، الأدب المقارن ترجمة أحمد عبد العزيز، ص 29.

يرى "**بول فان تيجم**" أن الأدب المقارن يعني دراسة اللمسات المشتركة لعدة آداب، سواء أكان بينها مشركات أو توارد، فمهمة المقارن هي تقرير التشابهات و الاختلافات بين كتابين أو نصين أو موضوعين من لغتين أو أكثر حتى يعرف نوعية التأثير أو الاقتباس، فالأدب المقارن يشمل في مفهومه الأوسع ما يسميه هو **الأدب العام** ، غير أن "**فان تنجيم**" يكشف فيما بعد وجه النقص في هذا التعريف، فيعمد إلى حصر الأدب المقارن في العلاقات الثنائية أي في عنصرين، بينما ينسحب الأدب العام على البحث في الحقائق المشتركة بين عدة آداب[1].

أما "**هنري ريماك Henry Remak** " "فيعرف الأدب المقارن بأنه المقارنة بين أدبين أو آداب مختلفة، و دراسة العلاقات بين الأدب و نواحي المعرفة الأخرى بما فيها الفنون الجميلة والفلسفة و التاريخ و العلوم"[2]، فالأمر يتعلق بذلك النوع من الدراسات الأدبية التي تهتم بتلمس مظاهر التأثر و التأثير بين الآداب و بامتداد أدب قومي ما إلى آداب أخرى، و تأثيره فيها أو تأثره بها، دراسة ترمي إلى كشف مظاهر عالمية الأدب، فلا يمكن اعتبار مقولة الحدود القومية و اللغوية بين الآداب مبررا قد يصحبها من إدعاءات عنصرية، إذ لا يخفي ما يحمله ذلك التوجه التاريخي من نزعة عرقية أو استعمارية متعالية لا تكتفي بمجرد الكشف الموضوعي عن مظاهر التبادل بل تتعداه إلى تبرير تفوق عنصر بشري على آخر.

و هنا يرى بعض الدارسين أن الأدب المقارن قد دأب منذ نشأته الأولى و حتى مرحلته العلمية على نبذ مزاعم القومية و رفض إدعاءات التفوق العنصري، بدليل توجه بعض الأدباء إلى تعريف مواطنيهم على آداب غيرهم فأثروا آدابهم بصور إبداع جديدة، و من هؤلاء " **Madame de Stael**" التي عرفت الفرنسيين بالأدب الألماني[3].

---

[1] رونيه ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة جابر عصفور، ص 298.

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 305.

[3] محمد غنيمي هلال الأدب المقارن ص 24.

و إذا دققنا النظر في المفهوم التاريخي للدراسات المقارنة و جدناها وثيقة الصلة بالنقد الأدبي فكلاهما يسعى إلى الكشف عن القيم الفنية و الجمالية الكامنة في العمل الأدبي و تفسيرها بفك رموزها و كشف المؤثرات التي أسهمت في بلورتها، وصولا إلى تأصيل الظواهر الأدبية و تعليلها ووضعها في إطارها التاريخي الصحيح، و من هنا فإن المقارنة ليست مجرد تصنيف شكلي بسيط للنصوص، و إنما هي نوع من النقد الذي تصل به القراءة إلى أن ينتج نصا أدبيا آخر أو عملا إبداعيا آخر يصح أن نسميه **الأدب المقارن**"[1]، و هي الرؤية التي حدت بعض النقاد إلى التمسك بمصطلح الأدب المقارن -بفتح الراء-، و إلصاق صفة الأدبية أو الإبداع بالمقارنة.

- **أهمية دراسة الأدب المقارن :**

لدراسة الأدب المقارن نفع كبير في المجالين القومي و العالمي، ففي المجال القومي يؤدي الإطلاع على آداب أجنبية أخرى و مقارنتها بالأدب القومي إلى التخفيف من حدة التعصب للغة و الأدب القومي بغير مقتض صحيح، و كثيرا ما أدى التعصب الأعمى و الغرور إلى عزلة اللغة و الأدب القومي عن تيارات الفكر و الثقافة المفيدة التي تساعد على إثراء أدب من الآداب[2]، وقد رأى "**هنري جيفورد H. Gifford** " أن الأدب الإنجليزي كان بحكم الكبرياء قد عزل نفسه عن الآداب العلمية توهما من الأدباء الإنجليز أن ما عندهم أفضل مما عند الآخرين، و ظلوا كذلك حتى غزتهم أخيرا التيارات الأمريكية في الحضارة و الأدب فأثرت في لغتهم بل في نظام حياتهم الاجتماعي كله، و لم يستطع الإنجليز أن يقاوموا، فإن التقدم الحضاري الأمريكي الذي غزا العالم كله لا يصعب عليه أن يغزو إنجلترا و هي الأقرب إليه و الأوثق صلة به، و اهتزت لغتهم هزة عنيفة أمام ما وفد عليها من المفردات و التعبيرات و الأساليب الأمريكية[3]، و يرى" **Gifford**" في هذه المواجهة بين اللغة الانجليزية الأصيلة و الانجليزية الأمريكية فائدة و خيرا، فهي أولا تزود القارئ الإنجليزي بأفكار واتجاهات جديدة لم يكن يطلع عليها و هو يعيش في عزلته السابقة في

[1] إبراهيم عبد الرحمن الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق، ص 07.

[2] طه ندا، الأدب المقارن، ص 26.

[3] ينظر المرجع نفسه ص 27.

وهم الاكتفاء الذاتي، و هي ثانيا قد حطمت في المواطن الإنجليزي غروره و استعلاءه حينما قدمت إليه ألوانا من الأدب و طرائق من التعبير كانت تنقصه، و هي ثالثا قد حركت فيه غيرته الوطنية فدفعت الأديب الإنجليزي إلى تحدي الأدب الأمريكي محاولا إثبات امتيازه و تفوقه و هذه غيرة وطنية محمودة لأنها تقوم على المنافسة لا على الإدعاء و الأوهام.

و من فوائد دراسة الأدب المقارن أنها تكون في الدارس دربة خاصة تعينه على تمييز ما هو قومي أصيل، و ما هو أجنبي دخيل من تيارات الفكر و الثقافة، و يستطيع الباحث إذا وصل إلى هذه المرتبة من الدربة الفنية أن يلتقط أصداء أديب من الأدباء في أدب أديب آخر و يستطيع أن يميز التيارات و لو كانت خفية، و الظلال مهما تكن باهتة التي تتسلل من أديب سابق إلى أديب لاحق[1]، و يستطيع هذا الخبير المدرب أن يكشف الاتجاه السائد في أدب الأديب و النبرة البارزة فيه، و المزاج الذي يتحكم في توجيهه و يصل الخبير إلى مثل هذه النتائج بعد مقارنات طويلة و دراسات واسعة و إطلاع على كثير من النماذج الأدبية لمختلف الآداب، و هو يمعن النظر في الألفاظ التي يستخدمها الأديب ما يكثر منها و ما يندر في الجملة و طريقة تركيبها في الحذف و التكرار و الانجاز و الإطالة، أراد ألفاظ بعينها، تحميل بعض الألفاظ معاني خاصة تستخدم في إحدى البيئات و لا تستخدم في غيرها، في التحميس لبعض القضايا و النزاعات و إهمال ما عداها... و اللغة عند مثل هذا الخبير ليست معنى عجميا خاصا و لكنها في نظره ذات ألوان و ظلال مختلفة باختلاف البيئات.

و اللغة الإنجليزية مثلا هي لغة الأمريكان و مع ذلك فالمعجم اللغوي للأمريكان يظم من الاصطلاحات و التعبيرات و الظلال التي يضيفونها إلى بعض الكلمات ما لا يعرفه الإنجليز، و كذلك تكتسب اللغة و الأدب انعكاسات حضرية و مفاهيم اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات[2]، واللفظة الواحدة في اللغة الواحدة قد يختلف مدلولها و معناها باختلاف الأقاليم، و قد تنتقل اللفظة من شعب إلى شعب آخر كما حدث بين الفرس و العرب و الترك فتبقى اللفظة على

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 37.

[2] طه ندا، الأدب المقارن، ص 28.

مبناها ومعناها و قد يبقى المبنى و ينحرف المعنى إلى مفهوم جديد خاص بالبيئة الجديدة، و التعبيرات البلاغية نفسها ليست سوى ألفاظ و تعبيرات لغوية و اكتسبت مفاهيم خاصة في بيئة من البيئات، و إذا عبرت في اللغة العربية مثلا بقولك فلان كثير الرماد فهم منها العربي معنى خاصا يضاف إلى ظاهره اللفظ، و مثل هذه التغيرات البلاغية يفهمها العربي و يتعثر في فهمها غير العربي و لو وقف على معاني الألفاظ في ذاتها.

كل هذه الفروق و الاختلافات تحتاج في إدراكها و التقاطها إلى دربة خاصة يوفرها الأدب المقارن لمن طال اشتغاله بهذا اللون من الدراسة، و مما لا ينكر أن كل أدب فيه شيء ما قد ينقص غيره من الآداب، و قد يفيدها إذا أضيف إليها، و إذا أحسن الأدباء الإفادة منه لإثراء أدبهم القومي و تجديد دمائه، في الإطلاع على آداب الآخرين مكاسب كثيرة إذا عرف المطلعون كيف يزيدون باطلاعاتهم رصيد أدبهم القومي، و أقول إذا عرف و أقدم هذا الشرط لأني رأيت كثيرين من أهل الأدب و الثقافة من لم يكتمل نضجهم في آدابهم القومية أو فنونهم الوطنية إذا أطلعوا على آداب أجنبية بهرتهم تلك الآداب و صرفتهم عن العناية بآدابهم القومية، وهذه خسارة قومية بلا شك مصدرها أن إفريقيا من هؤلاء المطلعين لم يحسنوا الانتفاع بالآداب الأجنبية لحساب أدبهم القومي وزيادة رصيده الفني، بل جعلوا هذا الإطلاع على حساب أدبهم القومي و إهدار ما فيه من قيم فنية وتاريخية لم يحسنوها هم قبل أن يتجهوا إلى الآداب الأجنبية[1].

و إذا كان من فوائد دراسة الأدب المقارن زيادة التفاهم و التقارب بين الشعوب بمعرفة عاداتها و طرائق تفكيرها و آمالها الوطنية و تبادل المنفعة بالأخذ و الإعطاء، و التأثر و التأثير فليس معنى هذا أن ينصرف جهدنا في هذه السبيل عن العناية أولا بأدبنا القومي و فهمه حق الفهم و إجادته كل الإجادة، و لا فائدة ترجى من وراء هذا الدرس الأدبي المقارن على يد باحث لم

[1] ينظر، المرجع السابق الصفحة نفسها.

تكتمل شخصيته الفنية و تنضج ذاتيته الأدبية و القومية، و لا خلاف بين الباحثين في أن دراسة الأدب المقارن يراد بها في المقام الأول إثراء الآداب القومية بما يستفاد من الآداب الأجنبية[1].

و كان "**جيته**" قد أثار قضية الأدب العالمي**Welt Literatue** و تخيل أن الآداب المختلفة ستتجمع كلها في أدب واحد كبير تقوم فيه الشعوب بدور الروافد التي تصب إنتاجها في هذا النهر الكبير أو الأدب العالمي، و قد دعا "**جيته**" إلى هذا التفكير، اتجاه ساد في ألمانيا يرمي إلى اتخاذ ألمانيا مركزا للثقافة العالمية و الفكر الإنساني، و كان يأمل أن يكون هناك أدب إنساني عالمي تغذيه شعوب العالم بإنتاجها، و ربما خطر في فكر هؤلاء المفكرين الألمان الذي نشروا هذا الاتجاه في ألمانيا و –إن لم يصرحوا– أن تكون الثقافة الألمانية و الأدب الألماني هما نواة هذا الأدب العالمي و الفكر الإنساني و جعل "**جيته**" من نفسه هو مثلا لهذه العالمية التي تجمعت في شخصه، فهو و إن كان شاعرا ألمانيا يجيد الآداب الغربية إلا أنه مع ذلك عشق الآداب الشرقية و اتجه إليها، فأصبح بشخصه مثلا للثقافة العالمية التي تضم آداب الشرق و الغرب، و لهذا نراه يسمى ديوانه "**الديوان الشرقي للمؤلف الغربي**"[2].

و يلتقط "**جيفورد**" فكرة "**جيته**" و يعرضها في شكل جديد تتجمع فيه الآداب الصغرى في مجموعة أدبية أو وحدة أدبية كبيرة تضمها كلها، و هو يرى أن الأدبيين الإنجليز و الأمريكي بما لهما من الصلات يصلحان لأن يتخذا نواة للفكرة بأن يتحدا فيما بينهما، و يكونا أدبا موحدا للناطقين باللغة الإنجليزية تنضم إليه كل الآداب الصغيرة، التي تتخذ الإنجليزية لغة لها و بهذا تنشأ وحدة أدبية كبيرة تضم كل الآداب التي تكتب بالإنجليزية، و يسير الأمر على هذا النمط فيما يتصل بالآداب التي تتخذ الفرنسية لغة لها أو الألمانية، و تنشأ بهذا وحدة كبيرة للأدب الفرنسي أو الألماني، و ينتهي الأمر بالآداب إلى أن تصبح أعضاء الوحدات كبيرة أو ما يمكن أن أسميه بتعبير عصري إتحاد الآداب الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، و بهذا تقل عدد الآداب الخاصة بكل شعب

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 29.

[2] د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات د ط 2008م ص 38-39.

على حدة و قيام مثل هذه الاتحادات و هي محدودة في عددها، يمكن أن ينتهي في آخر الأمر إلى وحدة عامة بينها فيظهر بذلك أدب عالمي موحد و تحقيق بذلك نظرية الأدب العالمي[1].

و لكن "**جيته**" نفسه كان لا يتحمس لفكرته، و كان يرى في هذا المثال أمرا بعيد المنال و ليس هناك شعب واحد يرضى أن يتخلى عن شخصيته، و لأن الفكرة نظرية يستحيل تطبيقها عمليا رأى بعض الكتاب أن يستخدم تعبير الأدب العالمي في معنى آخر فقصد به تلك الكنوز الأدبية القديمة التي ذاعت في العالم كأعمال "**هومر، دانتي، سرفانتس، شيكسبير، جيته**"، الذين عمت شهرتهم الآفاق و غطى أدبهم العالم، فهو إذا أدب عالمي على هذا النحو و التفسير[2].

[1] ينظر، المرجع السابق الصفحة نفسها.

[2] طه ندا، الأدب المقارن، ص 30.

الفصل الأول :

مدارس الأدب المقارن

النشأة و التطور

المبحث الأول :

المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن

1- النشأة و التطور

2- في نقد المدرسة الأمريكية

– أولا : المدرسة الأمريكية : النشأة و التطور

تمهيد :

منذ دخول الأمريكان عالم الأدب المقارن، فإنهم أبدوا رفضا شديدا للتقيد بالمبادئ التي أقرتها المدرسة الفرنسية، فوسعوا باب الأدب المقارن، و أدخلوا فيه نزاعات مختلفة عالمية و فنية و أدبية، ومن هنا ينبغي أن تؤخذ النظرية الأمريكية للأدب المقارن بجدية كبيرة لأن المقارنين الأمريكيين قدموا حلولا ذات قيمة في الأدب المقارن من جهة، و قد زاحموا الفرنسيين على زعامة هذا الفن الذي يقي تحت سيطرتهم حتى ظهور الأمريكان في ستينات القرن الماضي، فأبدى الأمريكان اهتماما فائقا في هذا المجال و أعطوه تنظيما من حيث الدراسة، جعلهم يطيحون بالفرنسيين شيئا فشيئا.

لعل هذا التصاعد الهائل في الوتيرة الإنتاجية عن الأمريكان يعود لسببين رئيسيين هما :

1- ضخامة الإمكانيات التي تصنعها الجامعات الأمريكية من إمكانيات مالية إلى تسهيلات مكتبة إلى فرق بحث مشتركة و غير ذلك، من أجل مواكبة العالم لأن المجتمع في تلك الفترة كان غارقا في مشكلاته، ضعيف التأثر بما يجري حوله غير العالم.
2- تأثير الأمريكان بالفرنسيين في الدراسات المقارنة، و أخذوا عنهم الأدب المقارن و درسوه في جامعاتهم، و لكن كان لديهم أفكار جديدة تبلورة عندهم غير التي أخذوها عن الفرنسيين.

- **نشأة المدرسة الأمريكية :**

نشأت هذه المدرسة حين عقد "**رينيه ويلك**" محاضرة بعنوان "**أزمة الأدب المقارن**" سنة 1958م في المؤتمر الدولي للرابطة الدولية للأدب المقارن، و في الحقيقة يعتبر "**رنيه ويلك**" التشكي الأصل زعيم هذه المدرسة أو المفهوم، و قد كان لهذه المحاضرة أهميتها من جانبين :

- **الجانب الأول** : أنها بينت سلبيات دراسات التأثير و التأثر التي قام بها الفرنسيون.
- **الجانب الثاني** : و هو المهم في هذه المحاضرة و هو تأسيس مفهوم جديد للأدب المقارن[1].

و من خلال تصفح هذه المحاضرة يتبين لنا المفهوم الأمريكي، إن كان على سبيل النقد الموجه للفرنسيين أو على سبيل طرح مفهومات جديدة للأدب المقارن، يقول "**ويلك**" إن أخطر دلالة على الوضع المهتز الذي تمر به دراستنا هي أنها لم تتمكن لحد الآن من تحديد دائرة عملها و منهجيتها، وأنا أعتقد أن برامج العمل التي نشرها "**فان تنجم**" و "**كاري**" و "**غيار**" قد فشلت في هذه المهمة الأساسية، فقد أثقلوا الأدب المقارن بمنهجية عما عليها الزمن و وضعوا عليه أحمالا من القرن التاسع عشر الميتة من ولع بالحقائق و العلوم النسبية و التاريخية[2].

من هنا نرى كيف ضرب "**ويلك**" أسس المدرسة الفرنسية باقتصارها على مشكلات مثل التأثر، الشهرة، النفوذ و السمعة، و أن هذا الاتجاه يركز على الوسط التاريخي و يهمل الهدف الحقيقي، وبذلك نعتها "**ويلك**" بأنها عبارة عن تجارة خارجية تتعامل مع النتاج الأدبي بشكل منقطع و لم ينظروا إليه ككل حتى يحققوا الهدف الرئيسي للأدب[3].

و يتابع "**ويلك**" هجومه على الحدود الضيقة التي وضعها المقارنون الفرنسيون التقليديون عندما حصروا الأدب المقارن في نزعة قومية، يقول : "...دراسات الأدب المقارن في فرنسا و ألمانيا و

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 132.
[2] ينظر، المرجع نفسه ص 132.
[3] ينظر، المرجع نفسه ص 133.

إيطاليا و غيرها أدى إلى نظام غريب في مسك الدفاتر الثقافية و إلى الرغبة في تنمية مدخرات أمة الكاتب، قد هضمت أعمال أحد العظماء الغرباء و فهمته من أي أمة أخرى"[1].

لقد حاول "**ويلك**" توسيع مفهوم الأدب المقارن و خصوصا عندما يلغي الحدود المصطنعة بين الأدب المقارن و الأدب العام، أو أن يكون الحديث عن الأدب بشكل عام لأن هذين المصطلحين كثيرا التدخل عند الدراسة، و قد حدد "**ويلك**" المفهوم الأساس عنده في دراسة الأدب المقارن عندما يقول "أما أنا شخصيا فبودي ألا أتكلم إلا عن دراسة الأدب أو البحث الأدبي، أما البحث الأدبي فلا تعنيه الحقائق الميتة، بل تعنيه الخصائص و القيم، و لهذا انعدم الفرق بين التاريخ الأدبي و النقد الأدبي"[2].

إذن فعلى المقارن أن يصب جهوده و طاقته و بحوثه في خدمة الهدف الأسمى للأدب، و لهذا يطلب "**ويلك**" أن يشرك النقد في التاريخ الأدبي، و يكون ركيزة رئيسية تحاول تطوير الأدب و بث الحركة و الحياة فيه حتى يكون في النهاية محركا لنا بشكل من الأشكال.

و يحدد "**ويلك**" ثلاثة أفرع للدراسة الأدبية : النظرية، النقد، التاريخ و هذه الأفرع تتعاون في البحث الأدبي لتحقيق المهمة الأساسية ألا وهي وصف العمل الفني و تفسيره و تقويمه أو وصف أي مجموعة من الأعمال الفنية و تفسيرها و تقويمها، فالأدب المقارن شأنه شأن الأدب القومي لا يستطيع أن ينفصل عن دراسة الأدب بجملته، فيجب أن يكون لديه معرفة بتاريخ أدبه مثلا طبيعة الأدب و مفهومه، و لهذا لا نستطيع أن نتخلى عن نظرية الأدب و لا على الركائز الأساسية للنقد، وهذا المفهوم يطلب من الأديب المقارن أن يكون على ثقافة عالية جدا حتى يستطيع أن يقدم تميزا في دراسته للأدب.

[1] حسام الخطيب، الأدب المقارن، في النظرية و المنهج ، جامعة دمشق، د ط 1982م ص 213.
[2] ينظر، المرجع نفسه ص 216.

من هذا المفهوم الذي طرحه "**ويلك**" نرى كيف ألغى الحدود السياسية و الجنس و غيرها، ليحل محلها الحد الإنساني في دراسته للأدب، فطرح قضية إنسانية الأدب المقارن أي أن الأدب المقارن نشأ في الأصل كردة فعل ضد القومية الضيقة التي أوصلت أوروبا إلى حرب لا تنتهي.

و لكن هذه الرغبة في توظيف الأدب المقارن كوسيط بين الشعوب فقدت معناها عندما حاول بعض المقارنين تبيان ما لأمتهم من فضل ثقافي على الأمم الأخرى عن طريق إثبات أكبر عدد من التأثيرات التي أثرتها أمة في الشعوب الأخرى، يقول "**ويلك**" و ما أن ندرك طبيعة الفن و الشعر وانتصاره على ما يعتري الإنسان من زوال، و على ما ينتظره من مصير و خلقه لعالم جديد من صنع الخيال حتى تختص الأباطيل اللغوية القومية و يظهر الإنسان بعموميته في كل مكان و زمان و بكل تنوعاته، و يكف البحث الأدبي عن أن يكون مجرد لعبة يلعبها عن مخلفات الماضي...[1].

من هنا نرى أن أراء "**ويلك**" شكلت في معظمها المفهوم الأمريكي، لكن من جهة أخرى ظهر مقارن جديد ينتسب إلى المدرسة الأمريكية دعم آراء "**ويلك**" في نظرته إلى الأدب المقارن، و بلور المصطلحات و المفاهيم التي أسسها "**فريماك**" يعد الأدب المقارن ملاحقة للآداب خارج حدوده القومي و دراسته لعلاقات بين الآداب و مجالات المعرفة من فلسفة و تاريخ و سياسة و يدخل في ذلك الفنون من رسم و نحت و موسيقى، وهو يكون بذلك قد زاوج بين الأدب و مجالات التعبير الإنساني الأخرى.

فالجديد الذي جاء به "**ريماك**" هو مقارنة الأدب مع الفنون الأخرى، أي إننا لا نحصر المقارنة بين أدبين و إنما نقارن مع فنون غير الأدب، فالأدب صادر عن الإنسان و كذلك الفنون الأخرى.

- **تطور المدرسة الأمريكية :**

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 126.

يبدأ هذا التاريخ بصفة رسمية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، و إن كانت هناك محاولات سابقة تربط الآداب الأوروبية ببعضها البعض الأخر على يد "**رالف والدوم رسون**" الذي تأثر "**بجوته**" و "**كارل**" بل و غيرها من قادة الفكر في القارة الأوروبية في عصره.

و يبدو أن من أدخل مادة الأدب العام أو الأدب المقارن في الجامعات الأمريكية هو "**تشارلز شويني سباك فورد**" الذي شغل كرسي الأدب العام في جامعة **كوزيل KOZIOL**.

و أول كرسي للأدب المقارن في الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي أنشئ في جامعة **هارفارد** في السنة الدراسية 1890م/1891م، و كان أول من شغله هو الأستاذ "**آرثر رشموند مارش Rich mond arthur match**".

و يمكن القول بأن دراسة الأدب المقارن في أمريكا في العشرينات من هذا القرن كانت مختلطة في الأذهان بدراسته الأدب العام أو الأدب العالمي أو أساطير الكتب أو الإنسانيات.

فهذه الأخيرة تتسع بالصلة بين الأعمال الأدبية إلى حد الموضوع المشترك بينها بغض النظر عن قيام دليل تاريخي على تأثر بعضها ببعض[1].

كما أنها اهتمت بدراسات التوازي و التقابل بين الآداب و برفض الأدب المقارن التقليدي (الفرنسي).

- **سمات المنهج الأمريكي :**
- تفادي المآخذ التي أخذت منها المدرسة الفرنسية –المنهج التاريخي– كما تجلت في مقال "**ويلك**" : أزمة الأدب المقارن.

[1] سعيد الوكيل، الأدب المقارن، مدخل نظري و نماذج تطبيقية، د ط،ـــ د ت، ص 44.

- توسيع مجال الأدب المقارن بتقديم مفهوم أوسع للعلاقات الأدبية و مد أفاق المقارنة لتشمل العلاقة بين الأدب و أنماط التعبير الإنساني الأخرى كما يبدو في تعريف "**ريماك**" للأدب المقارن.
- ملاحظة العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة وفقا لمفهوم التوازي أو التشابه أو القرابة، وهو مصطلح أمريكي[1].
- **في نقد المدرسة الأمريكية :**

إدعاؤه أن الأدب العام ابتدعه "**فان تنجم**" دون أن يستطيع أن يفرق بينه و بين الأدب المقارن منهجيا مما أدى إلى اختلاط المفاهيم بينهما، و على الرغم من هذا الإدعاء ظل الأدب العام يدرس في بعض الجامعات الأمريكية إلى اليوم دون تفريق حاسم بينه و بين الأدب المقارن، و ثمة إصدار علمي يشمل الاثنين معا عنوانه : "**الكتاب السنوي للأدب المقارن و الأدب العام**"[2].

- **رواد المدرسة الأمريكية :**

1- **رنيه ويلك** **René wellek**
2- **كالفن** **Kolven**
3- **هنري ريماك** **Henry remok**
4- **رالف والدوم راسون** **Rolav waldom rosson**
5- **جيمز راسل لويل** **Jam rissole loulie**
6- **هاري لفني** **Harry livny**
7- **والتركيزر** **Walter kizir**
8- **كوفد** **Koffd**[3].

[1] أحمد زلط، الأدب المقارن، نشأته و قضاياه و اتجاهاته، هبة النيل العربية للنشر و التوزيع الجيزة، د ط 2005م ص 105.
[2] ينظر، المرجع السابق ص 84.
[3] سعيد الوكيل، الأدب المقارن، مدخل نظري و نماذج تطبيقه ص 44.

- **عوامل النشأة :**

يبدو أن هروب المقارنين الأمريكيين من المفاهيم و المبادئ الفرنسية في الأدب المقارن، ورفضهم لمنهجيتها الصارمة في الدراسة المقارنة، و إيجاد مفهوم جديد لهذا العلم يخالف المفهوم الذي قامت عليه، هو هروب و رفض منطقي، فالكثير من المبادئ التي وضعتها المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن لا يستند للعلمية، و إنما أكثرها على منطلقات قومية إيديولوجية.

و لكن بالرغم من منطقية هذا الرفض، و الانتقادات التي وجهتها المدرسة الأمريكية لنظيرتها الفرنسية، إلا أنه في واقع الأمر هناك أسباب أخرى جوهرية تنطوي على صراع قومي إيديولوجي لم تعلنها المدرسة الأمريكية و المتمثلة في وجهة نظري كالآتي :

- إن الدراسة التاريخية التي تبنتها المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن لا تتلاءم مطلقا مع طبيعة الولايات المتحدة الأمريكية لحداثة تاريخ هذه الأخيرة و لكونها، لا تمتلك تاريخا أدبيا أيضا.
- إن شرط اللغة التي وضعته المدرسة التقليدية، و جعلته إجباريا في الدراسة المقارنة و ربطته بالقومية، هو شرط لا يتماشى معها لأنها لا تملك لغة رسمية من جهة و مجتمعها مشكل من العديد من القوميات و الأعراق من جهة ثانية، و هو ما يعني أن كل الأعمال الأدبية التي تستنتج في أمريكا بأي لغة من لغات قومياتها تنتسب إلى غير الأدب الأمريكي حتى و إن كان باللغة الإنجليزية مثلا، فلا يمكن لأنه حسب شرط اللغات يعد عملا أدبيا إنجليزيا، و هو الشيء نفسه مع جميع اللغات الموجودة بها.
- إن التقسيم الثنائي الذي فرضته المدرسة الفرنسية، و ربطت من خلاله إيجابية و سلبية العمل الأدبي بعامل الاستعمار، هو مبدأ لا يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية،

باعتبار الأدب الموجب هو أدب الدول المستعمرة و الأدب السالب هو أدب الدول المستعمرة، وأدب أمريكا بموجب هذا المبدأ لن يكون في الريادة[1].

- و بناءا على هذه الأسباب يبدو لي أن منظري الولايات المتحدة الأمريكية من نقاد ومقارنين، قد أدركوا أن الأسس التي وضعتها المدرسة التقليدية، و المنهجية التي اعتمدتها في المدرسة –الدراسة المقارنة– تعتبر عامل إقصاء للولايات المتحدة الأمريكية في ميدان علم الأدب المقارن، و هي دولة تابعة لا متبوعة.

[1] عبده عبود، الأدب المقارن، مشكلات و آفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، د ط 1999م ص 40.

المبحث الثاني :

المدرسة السلافية (الروسية) في الأدب المقارن

1- نشأتها و تطورها

2- خصائصها

المدرسة الروسية / السلافية : النشأة و التطور :

يعتبر الاتجاه الروسي أو السلافي أو ما يسمى بالمدرسة الروسية أو السلافية و التي ظهرت في روسيا و بلدان الشرقية الإشتراكية، إحدى المدارس المهمة في الأدب المقارن، و هي مدرسة مبنية على أساس إيديولوجي كونها مدرسة ولدت من رحم الفلسفة الماركسية، و هي تلك الفلسفة المادية الديالكتية التاريخية الإيديولوجية، التي ترفض بشدة الفلسفة الوضعية و تعتبرها فلسفة بورجوازية، وتملك نظرة شمولية للكون و المجتمع و الثقافة و الأدب، و تؤمن بأن "هناك علاقة جدلية بين القاعدة المادية أو البناء التحتي للمجتمع و البناء الفوقي، الذي يشكل الثقافة و الأدب أهم مكوناته، و في نظرتها إلى العلاقة بين البناء التحتي و البناء الفوقي أي بين المجتمع و الثقافة ترجح النظرية الماركسية كفة الطرف الأول أي البناء التحتي و المجتمع، و ترى فيه الطرف الرئيسي في المعادلة الجدلية، فالوجود المادي يحدد الوعي الاجتماعي، و البناء التحتي يتحكم في البناء الفوقي، أي في الثقافة والأدب، و يوجه مسارهما"[1].

فالمدرسة الروسية أو السلافية في الأدب المقارن المبنية على هذه الفلسفة هي مدرسة لها نسق ثقافي يختلف عن مفاهيم المدرستين، الفرنسية و الأمريكية، في مفهومها للأدب المقارن، و كذلك في الميادين التي تدخل في مجاله، فبالرغم من أن هذه الأخيرة تلتقي مع المدرسة الفرنسية في النزوع إلى استخدام المنهج التاريخي في الدراسات المقارنة، إلا أن أهداف و نتائج كل منها ليست واحدة في ذلك، فالمدرسة الفرنسية تستعين بالمنهج التاريخي لإثبات عملية التأثير و التأثر بين الآداب بمعزل عن القوانين المتحكمة في تطوره، بينما "الماركسيون يستخدمون المنهج التاريخي لإثبات دور المجتمع والصراع الطبقي في تشكيل الأدب و ظهور أجناسه، فإذا تشابهت عندهم الظروف الاجتماعية في عدد من البلدان، سيؤدي ذلك التشابه الاجتماعي إلى ظهور أدب متشابه،

[1] عبده عبود، المرجع السابق ص 40.

و من هنا أصبحت الدراسات الأدبية المقارنة موجهة كغيرها من المجالات المعرفية لإثبات مدى تحكم الظروف الاجتماعية و تأثيرها"[1].

- **أعلام المدرسة الروسية :**

يعد المقارن الروسي "**فيكتور جيرو منسكي**" رائد هذا المنهج و مؤسسه، و ثمة آخرون غيره معروفون عالميا منهم "**ديونير دوريزين**" و "**هنريك ماركيفيتش**" و "**ألكسندر ديما**" و "**روبرت فايمان**".

- **مبادئها (خصائصها) :**

يمكن القول بأن أهم ما نادت إليه هذه المدرسة من خلال رصد أفكار و نظريات منظريها فيما يتعلق بالدراسات المقارنة يتجلى في الآتي :

- ضرورة الاهتمام بالصراع الطبقي و الصراع الإيديولوجي باعتباره المؤثر الأكبر في عملية استقبال أي مجتمع من المجتمعات للموضوعات الأجنبية.
- الدعوة إلى دراسة التشابهات و الاختلافات النمطية و الابتعاد عن تقاليد المدرسة الفرنسية في مفهومها للتأثير و التأثر.
- تجنب الأحكام المسبقة على أي ثقافة إلا بعد دراسة تطوراتها و علاقتها بغيرها من الثقافات في تطورها التاريخي.
- ضرورة ربط المقارنة الأدبية بالمكون الاجتماعي للأدب.
- نزوعه النقدي العام جعله في موقع وسط بين جمالية المنهج الأمريكي و تاريخية المنهج الفرنسي، و توضيحا لهذا يقول الدكتور "**سعيد علواش**" "...إن تموضع المدرسة السلافية بين التاريخية و النقدية و تبينها لتداخل الاختصاصات يجعلها تنفتح أكثر فأكثر على

[1] حيدر محمد غيلان، الأدب العربي و دور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية، العدد 80، مركز الدراسات و البحوث اليمني يناير، مارس 2006م صنعاء الجمهورية اليمنية ص 23.

مستجدات الحياة العقلية، و نكاد نجزم بأن هاته المدرسة تحقق ما لم تستطع المدرستان الأمريكية والفرنسية إنجازه، كل منهما على حدة، و تحقق بداية المشروع الذي يجمع بين معالجتي المدرستين ذاهبة إلى أبعد حد في الدعوة إلى شاعرية اشتراكية، و هذا العنصر الجديد الذي يستوجب الوقوف عنده"[1].

لقد دعا "**جيرومنسكي**" كبير –منظري هذه المدرسة– إلى ضرورة توسيع دائرة البحث في الأدب المقارن بغرض الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية، وحقائق أكثر رسوخا و موضوعية، و هذه الدعوة تضعه على الطرف النقيض للدرس المقارن، الغربي القائم على المركزية الغربية التي ينبغي أن ترفض في رأيه و رأي الكثيرين من المؤمنين بالرسالة السامية للأدب المقارن رفضا قاطعا، مستشهدا على ذلك بمقولته رائد الدرس المقارني الروسي "**فيسيلوفسكي**" الذي كلن يعكس في عصره أفكارا أكثر تقدمية في مجال علم الأدب من أفكار "**هردر**" و غيره بقدر ما تكثر المقارنات و المقابلات و بقدر ما يكون ميدانها واسعا، تكون النتائج أكثر رسوخا، و يضيف "**جير مونسكي**" قائلا "و إذا كان علم الأدب في الغرب قد تخلى عن دراسته القضايا الواسعة و الآفاق العريضة لتطور الأدب العالمي، و اتجه نحو التخصص الضيق محددا أطر بحثه داخل الحدود القومية، و في أحسن الأحوال معتمدا على الأعمال الأوروبية، فإننا في الاتحاد السوفياتي ذي القوميات، حيث تعيش شعوب الشرق و الغرب في وحدة وتآخ لتبني ثقافة جديدة، قومية في شكلها و اشتراكية في محتواها، تسلم تلقائيا بضرورة تناول مسائل التطور الأدبي من خلال الدراسات المقارنية التاريخية الأرحب أفقا، و ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار اشتمال هذه الدراسات على الأعمال الأدبية الغربية و الشرقية"[2]، أي بمعنى تحقيق مبدأ الشمولية.

[1] علوش سعيد، مدارس الأدب المقارن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي– 1987م ص 139.

[2] فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكي، علم الأدب المقارن، شرق و غرب، ترجمة و تقديم د غسان مرتضى، ط 1، حمص 2004م، ص11.

المبحث الثالث :

المدرسة الألمانية في الأدب المقارن

1- نشأتها و تطورها

– المدرسة الألمانية : النشأة و التطور :

بدأ الأدب المقارن في ألمانيا تاريخا أكثر منه نقدا على نحو ما حدت فرنسا، و يمكن اعتبار "**كاسباردانيال مرهوف**" المؤسس الحقيقي له فهو أول من نبه إلى أهميته في الدراسات الجامعية، فأدخله في مناهج الدراسة تحت اسم **تاريخ الأدب العالمي**[1]، و ظل يعرف بهذه الدراسة لسنوات طويلة.

ثم جاء بعده كل من "**فريد ريش بوترفيك**" و "**جوهان جوتفريد إيتشورن**"، و كانا أستاذين بجامعة **جوتنج** و عضوين في **جمعية المثقفين** و مؤلفا كتابي "**تاريخ الأدب و البلاغة**" و "**تاريخ الأدب من بدايته حتى العصر الحديث**"

كانت وجهة نظر "**بوترفيك**" أوسع أفقا من رفيقه "**إيتشورن**" فهو "يرى أن استمرار هذا التاريخ ...كتحليل يتفق زمننا مع الانجازات التي حققها الفكر، و التذوق الجمالي، في مختلف لغات أوروبا الجديدة ...مجرد محاولة"[2]، و اكتفي بأن يعرض بطريقة طبيعية و تعليمية تاريخ أدب كل أمة من بدئه حتى نهايته دون توقف، و فسر في هدي منهجه نظرية "**بروتنبير**" في التطور، فهو يرى "أن الطريق الذي سلكته الفنون الجميلة ينتهي بها أيضا بالطبيعة لكي تصب في هذا الأدب أو ذاك"[3]، وهو أمر يبدو واضحا من خلال الآداب القومية في إيطاليا و إسبانيا و فرنسا و إنجلترا و ألمانيا.

لم يستطع الأدب المقارن فرض نفسه في ألمانيا قبل أن تتأصل دراسة الأدب القومي نفسه، وهو أمر طبيعي، وحدث في أغلب الدول الأوروبية و غيرها، و لم يتحقق ذلك تماما، و على نحو قريب من الكمال الأعلى يد "**إريش شميدت**" و "**فلهيم شيرير**".

---

[1] د. الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله و تطوره و منهاجه، دار المعارف 1119 كورنيش النيل القاهرة ط1، 1987م ص 81.

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 82

[3] ينظر، المرجع نفسه ص 82

فالأول كان يدرس ظواهر الأدب الألماني من وجهة نظر قوميته، و على هامش التاريخ، إذ بقول "ولكن مفهوم الأدب القومي لا يتطلب بالضرورة فرض حماية جمركية صارمة للذوذ عنه، و عليه حين يرتبط الأمر بحياتنا الثقافية أن نكون من دعاة حرية التبادل أخذا و عطاءا[1].

أما الثاني –"**شيرر**"– أبدى تفهما أكبر لقضايا المقارنة و عبر عن أمله في الوصول إلى خلق "علم جمالي يعتمد على التاريخ"[2]، و يعرف كيف يكتشف التأثيرات من خلال منهج استقرائي انطلاقا من الحالة الثقافية للشعوب الفطرية و أصل الأجناس الأدبية.

لم يدخل الأدب المقارن نطاق الدراسة الجامعية في ألمانيا إلا بعد سنة 1887م بفضل "**ماكس كوخ**"، الذي أسس **مجلة الأدب المقارن**، و يعد تقديمه لها في عددها الأول لحظة قمة في نطاق لمقارنة الألمانية، و المتصفح لها يجد أنه التزم بالمنهج الذي اختطه كناشر بدقة، ففيها تكثر الدراسات المقارنة عن الخرافات و الأساطير، و الأمثال الشعبية و تاريخ البواعث و الموضوعات[3]، وأفسح مجالا رحيبا من اهتمامه للمأثورات الشعبية في أوروبا و خارجها كالهند و أفريقيا و الصين، و لم يقف عند هذا الحد بل اهتم أيضا بتاريخ هذه البلاد الديني و السياسي، و إلى جانب ذلك كتب عدة مقالات عن تأثيرات أدبية عالمية كتأثير "**دنتي**" الإيطالي في الأدب الألماني، و "**لينسج**" الألماني في الأدب المجري، أو المقارنة بين "**جوته**" الألماني و "**فوسكولو**" الإيطالي.

مع نهاية القرن الثامن عشر و مطلع القرن التاسع عشر بدأ مصطلح الأدب المقارن و منهجه يشيع تدريجيا، و أصبح في الوقت نفسه موضع جدل شديد، و وضعت مكانته الجامعية على بساط البحث و دارت حوله مناقشات حادة في عدد من المجلات المتخصصة، فاتجهوا إلى مفهوم الأدب العالمي كما دعا إليه "**جوته**" و دار حوله نقاش عريض في هذه الفترة أي العقد الثالث من القرن التاسع عشر، بدأت بعض الجامعات الألمانية تعير المقارنة اهتماما أكبر، فأنشأت جامعتا **ليبرج**

[1] ينظر، المرجع السابق ص 82

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 82

[3] ينظر، المرجع نفسه ص 84

و**فورزبرج** كرسيان مساعدان للأدب المقارن، شغلهما عالمان مهتمان بالدراسات الرومانية و هما "**فيكتور كلميرير**" في الجامعة الأولى، و "**إدوار فوت جون**" في الجامعة الثانية الذي لم يتخل نهائيا عن إطار الأدب المقارن في مفهومه الفرنسي، و تبنى الدعوة إلى توسيع الموضوع ليأخذ وجهة قربا من الأدب العام[1]، كي ينتقل بعدها إلى الخصائص الأساسية للفكر الألماني، و أن غاية المقارنة بناء الإطار التاريخي الذي نما بداخله المؤلف و العمل الأدبي، و يجب أن لا نقف بالإطار عند الحدود القومية، و إنما علينا أن نتجاوزها لتشمل العالم المعاصر كله[2].

و بعد هزيمة الألمان سنة 1945م التي أدت إلى موت أو هجرة عدد من علماء الدراسات الرومانية الذين تركوا فراغا، لم يكن ممكنا و لا سهلا أن يمتلأ سريعا، ظهرت قلق فكري جديد أخذ يطفوا في المنطقة الألمانية التي احتلتها القوات الفرنسية، حيث بدأت فرنسا تطبق سياسة ثقافية بالغة الأهمية، أثرت بعمق في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، و هكذا بدأ "**كورت فايس**" يمارس في مجال الرومانيات نشاطا دراسيا جديدا و مقارنا في جامعة **توبنج**، و نظم مؤتمرين دوليين 1950م و1958م تناولا بالدرس حالة الأدب المقارن و تطوره و ازدهاره في أوروبا و أمريكا، و أنشئ أخيرا كرسيي للأدب المقارن بجامعة **جوتنبرج**، و هو أول كرسي في ألمانيا، و اختطى خطى كرسي الأدب المقارن في فرنسا –**جامعة باريس**– و شغله الباحث الألماني الشهير "**هايني فريدريش هيرث**" و تدين له المقارنة بأول عرض تجميعي لموضوعاته، تاريخي و منهجي، و الذي حاول أن يستبعد العوامل التاريخية في دراسة الأدب، أو أن يقلل من شأنها في أحسن الأحوال، و أن يؤكد على دراسة الموضوعات، وهي الشيء الوحيد الذي يشترك فيه تاريخ الأدب و الأدب المقارن، إذ كلاهما يخدم الأدب، و مع ذلك فإن كلاهما يستخدم منهجا مستقلا، فمنهج الأدب المقارن لا يستهدف غايات تاريخية و إنما يسعى وراء الظواهر المتشابهة، يدرسها و يتعمق فيها، و

[1] ينظر، المرجع السابق ص 90

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 91

يقارن بينها ليخرج منها بالقوانين التي تحكم أوجه اللقاء و أوجه الاختلاف[1]، و فصل أيضا المقارنة و تاريخ الثقافة، و بقية الاهتمامات الأخرى لأنها تستبعد فيما يرى كل ما لا ينتمي إلى الفنون الجميلة.

و بعد موت "**هيرث**" جاء "**فلترهولرير**" الأستاذ في جامعة برلين التقنية، فحاول أن يبعثه علما جديدا، و بسط آراءه في عدد من "**مناهج الأدب المقارن و قضاياه**" في مقال كتبه بمناسبة المؤتمر الثاني للأدب المقارن، حيث دعا فيه إلى أدب مقارن أوروبي في جوهره[2].

و في مقال آخر نشره بعنوان **الأدب المقارن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية** أكد على أن ألمانيا ترفض الأدب المقارن بمفهومه الدقيق كما ترفض الأدب العام، و تفضل بدلا منهما التاريخ المقارن للآداب.

و يعود الفضل الكبير ل "**هورست روديجر**" في عودة الألمان في مجال المقارنة العالمية، حيث احتلت مكانا هاما بفضل الدراسات التي نشرها، و المؤتمرات العالمية التي أسهم فيها، و الاهتمام الذي يوليه **لمجلة أركاديا** التي تنطق بآرائه، و تجهل ملامح تكوينه كلغوي متخصص في اللغات القديمة و آدابها، فقد وقف بجهده عند الموروثات القديمة الفكرية التي تعود إلى العصر الوسيط وتعيش بينا حتى يومنا هذا.

و في سنة 1963م نشر "**روديجير**" أروع مقالاته ما بعد الحرب العالمية، و هو يرى أن الأدب الأوروبي بأوسع معاني الكلمة يحدد مجال دراسة التأثيرات القديمة و الوافدة من الشرقين الأوسط والأقصى، و عليه أن يهتم بالصلة بين الأدبين الأوروبي و الأمريكي في عصرنا الحاضر.

و أخيرا أعطى خطته طابعها الأخير فركز على الموضوعات التالية بخاصة، و أعطاها أهمية كبرى و هي دراسة ما من الآداب القديمة و أدب التوراة في قمت و تمثله الأسطورة، و في أدناه

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 94

[2] ينظر، المرجع السابق ص95

وتمثله جنات الخلد و تحليل دورنا على القيم الأدبية، مع إعطاء أهمية خاصة لحركة الإنسية، و أخيرا العناية بالترجمة تطبيقا و نظرية و العناية بثقافة المقارن[1].

هذا المفهوم للأدب المقارن يراه كثير من علماء المقارنة محافظا أدى إلى قيام مدرسة ألمانية مقارنة تدعمها الكراسي التي أنشئت في **جامعات برلين** و **دارمشناد** و غيرها، و تومئ إلى مستقبل متفائل، و ليس بعيد أن تعمد بقية الجامعات الألمانية الأخرى إلى إنشاء كراسي للأدب المقارن خاصة بها[2].

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 96

[2] ينظر، المرجع السابق الصفحة نفسها.

المبحث الرابع :

العرب و الأدب المقارن

– العرب و الأدب المقارن :

إذا تتبعنا محاولات نشأة الأدب المقارن عندنا وجدنا أن نشأته لم تكن لحركة فكرية، واتجاهات فلسفية، و منحى علمي، و منهج نقدي عميق، و دعوات نظرية يؤمن أصحابها أن هذا العلم ضرورة ملحة لا غناء عنها، كما كان شأنه لدى كتاب الغرب و فلاسفتهم و مفكريهم[1]، و إنما أريد بالأدب المقارن أن يوضع في منهج الجامعات دون استعداد له أو وقوف على حقيقته.

و كما رأينا سابقا أن كل مدرسة تحكمها أسس و ضوابط و قواعد تميزها عن غيرها من المدارس، حيث أن الانسجام و التآلف اللذين ميزا كلا من المدرسة الأمريكية و السلافية نجدهما غائبين عند المدرسة العربية إن صح التعبير، حيث يرى بعض النقاد أنه لا يوجد تآلف و انسجام يجمع خصائص هذه المدرسة، و إنما أطلق عليها هذا الاسم بسبب السمة الثقافية و المساحة الجغرافية التي تجمع العالم العربي، و ليس أكثر، فهذه المدرسة لم تستقل بذاتها و سماتها كما هو الحال في المدارس السابقة، و يرجع سبب ذلك إلى تأثر المدرسة العربية بالمدرسة الفرنسية التاريخية إلى حد بعيد، هذا بالإضافة إلى إنهاكها في البحث عن الأدب الإسلامي، و كذلك انقطاع الصلة بين المقارنين العرب، فلا تجد جيلا يسلم الراية إلى الجيل الذي يليه فنجد أنفسنا دائما في نقطة البداية[2].

و عن بداية المدرسة العربية في الأدب المقارن، فيرى بعض النقاد أن "**رفاعة الطهطاوي**" هو أول من سار في هذا الطريق من خلال مؤلفه **تخليص الإبريز في تلخيص باريز** حيث أن كتابه حوى بعض الجوانب اللغوية و الأدبية في المقارنة بين مصر و فرنسا مثل الفرق بين العروض في

[1] علواش سعيد، مدارس الأدب المقارن ص 159 – 160.

[2] محمد غنيمي هلال، الأب المقارن دار، ص 73.

الشعر العربي و في الشعر الفرنسي[1]، و لكن هذا الكتاب على الرغم من أهميته لا يعتبر بداية علمية حقيقية في النقد الأدبي.

إن البداية الفعلية لهذه المدرسة ظهرت في سنة 1924م عن طريق مدرسة العلوم التي أقرت مواد الأدب المقارن و اللغات المقارنة فيها[2]، و من أشهر المؤلفات التي ظهرت في مجال الأدب المقارن العربي هو كتاب "**نجيب العقيقي**" **في الأدب المقارن** سنة 1948م، و كان يعيب هذا الكتاب أنه اختزل الأدب المقارن في أنه تاريخ الأدب، و تجاهل شروط الأدب المقارن و نظرياته[3]، و لكن بعد ذلك و مع الوقت بدأت الجامعات العربية في تشكيل قضايا الأدب المقارن متأثرة بالمدرسة الفرنسية، و لعل أشهر النقاد الذين اهتموا بهذا المجال في العصر الحالي هو "**محمد غنيمي هلال**" حيث أن له مؤلفات في الأدب المقارن تعتبر نقطة انطلاق لرسم معالم المدرسة العربية في الأدب المقارن، منها **دراسات أدبية مقارنة** و **دور الأدب المقارن في توجيه الدراسات في العالم العربي** و **في النقد التطبيقي و المقاررن.**

و قد مرت المدرسة العربية بأربع مراحل :

1- **التأسيس** من سنة 1948م إلى 1960م، حيث بدأ التأليف في تلك الفترة و أشهر مؤلفيها هم "**نجيب العقيقي**" في كتابه **في الأدب المقارن** و "**عبد الرزاق حميدة**" في كتابه **الأدب المقارن**، و كانت مرحلة الأدب المقارن تلك تشمل التعريف بالأدب منذ "**أرسطو**"، و التقديم للآداب الأوروبية، ثم البحث عن أوجه المقارنة بينها و بين الأدب العربي منذ العصر الجاهلي، و مقارنة الأنواع الأدبية الفرنسية، فقد كان الجانب الكمي يطغى على الجانب الكيفي، ثم أخذ هذا المجال في التطور مع صدور كتاب "**محمد**

[1] علواش سعيد، مدارس الأدب المقارن ص 160.
[2] ينظر، المرجع السابق ص 160-161.
[3] ينظر، المرجع نفسه ص 223.

غنيمي هلال" الأدب المقارن سنة 1953م[1]، و كان يدعو فيه إلى اللجوء إلى المدرسة الفرنسية التاريخية حين تمحور كتابه حول تاريخ الأدب في أوروبا، و وضع الأدب المقارن في الجامعات الأوروبية و الوسائل التي يجب أن يعتمد عليها المقارن، و مجال الأدب المقارن و حدوده، و تأثير الآداب الأجنبية و مفاهيمها.

2- **الترويج** من سنة 1960م إلى 1970م، حيث بدأ فيها ظهور مجلتين مختصتين في الأدب المقارن، الأولى ظهرت سنة 1966م، في لبنان تحت عنوان **الدراسات الأدبية** و كانت تصدر باللغتين العربية و الفارسية، و الثانية ظهرت سنة 1967م باللغة الفرنسية في الجزائر تحت عنوان **الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن**، فالمجلة الأولى كانت تميل إلى المقارنة بين الأدب العربي و الفارسي لمعرفة مدى التأثير و التأثر بينهما على مر التاريخ، حيث كانت هذه المجلة تنتهج نهج المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن أما المجلة الجزائرية كان يغلب عليها الجانب التطبيقي حيث ركزت على المقارنة بين الآداب العربية والآداب الأوروبية، و كانت موضوعاتها محددة مثل **الجاحظ و الأدب المقارن والخرافة الإيطالية حول صلاح الدين الأيوبي**[2].

3- **عقد الرشد** 1970م إلى 1980م، و سمي بعقد الرشد بسبب وجود نزعة الأبحاث والدراسات التي كست تلك الفترة، حيث كانت منصبة على الأدب العربي الإيراني، والأدب الغربي الأوروبي[3].

و أشهر من كتب في الأدب العربي الإيراني ثلاثة مؤلفين و هم، **"محمد عبد السلام كفافي"** صاحب كتاب **في الأدب المقارن : دراسات في نظرية الأدب و الشعر القصصي** و **"طه ندا"**

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 225-230.

[2] ينظر المرجع السابق ص 249 – 272.

[3] طه ندا، الأدب المقارن، ص 247.

صاحب كتاب **الأدب المقارن** و "**بديع محمد جمعة**" صاحب كتاب **دراسات في الأدب المقارن**، وقد انتشرت الكثير من الدراسات التي تتناول الأثر القرآني في الشعر الفارسي[1].

و أما من أشهر الكتاب الذين كتبوا في الأدب العربي الغربي "**ريمون طحان**" و "**إبراهيم عبدالرحمن محمد**" و "**عبدالدايم الشوا**".

لقد كتب "**ريمون طحان**" مقالات عديدة للترسيخ للدرس المقارن في العالم العربي، و كان يرى أن كلا من الكتب و المصادر الأجنبية و الرحلات و سائل هامة لنقل الأفكار من أمة إلى أخرى، ويرى أن التجار هم الذين نقلوا الأدب الشرقي إلى أوروبا[2]، و بعد هذا التمهيد إلى الأدب المقارن أصدر في سنة 1972م كتابه **الأدب المقارن و الأدب العام**.

أما "**إبراهيم عبد الرحمن محمد**" فقد ألف كتابه في الأدب المقارن تحت عنوان، **النظرية والتطبيق في الأدب المقارن** فقد حاول تقديم إطار نظري للأدب المقارن، و من ثم تطبيق هذا الإطار النظري على الأدب، و عمل على دراسات مقارنة منذ العصر الإغريقي إلى العصر الحديث.

أما "**عبد الدايم الشوا**" صاحب كتاب **في الأدب المقارن** فقد جمع في كتابه محاضراته التي ألقاها في جامعة الجزائر، و قد ركز على استقبال الآداب للتأثيرات من الآداب الأخرى، فكان مثلا عندما يدرس أدب شاعر، يرصد آثار الشعراء الآخرين في هذا الشاعر.

- **التعليم الجامعي المقارن :**
  - **في المشرق العربي :**

لقد ظهر الأدب المقارن و نشأ و تطور في الأساس في حضن الجامعات العربية مثل مصر والعراق و لبنان و تونس و المغرب و الجزائر، لكنه ظهر فيها على مرحلتين تحديدا في مصر سنة

[1] ريمون طحان، الأدب المقارن و الأدب العام، دار الكتابي البناني بيروت د ط 1972 م، ص 26.
[2] سعيد علوش الأدب المقارن ص 273.

1924م في دار كلية العلوم في جامعة القاهرة عندما بدأ تدريس اللغات العبرية و السريانية و مقارنتها باللغة العربية، و استمر الأمر قاصرا على الدراسات اللغوية حتى سنة 1938م، ثم تطور داخل المقررات الدراسية في الكلية، و قد أدى ذلك إلى ظهور قصور في تدريس هذه المادة لعدم وجود أساتذة مختصين، و على الرغم من ذلك فإن الذي عمل على تطوير الدرس المقارن في جامعة القاهرة هو البعثات العلمية التي كانت ترسل الطلاب إلى أوروبا ليتخصصوا في الأدب المقارن، و يعودوا ليطوروا المناهج الدراسية في الجامعة، و لكن بعد هذه الفترة حدثت أزمة كبيرة في الأدب المقارن في الشرق بسبب هجرة العقول التي كانت النواة الأساسية للأدب المقارن في الشرق[1].

- **في المغرب العربي :**

بالرغم من انتشار اللغات الفرنسية و الاسبانية في المغرب العربي بسبب الاستعمار، إلا أنه كانت هناك ظروف سياسية و اجتماعية وقفت عقبة أمام تدريس الأدب المقارن في المغرب العربي، و لعل من أهمها تأخر إنشاء الجامعات، ففي المغرب انشئت الجامعة سنة 1959م و بدأ تدريس الأدب المقارن بها سنة 1963م، و كان هناك قسم خاص للأدب المقارن، و بسبب القرب الجغرافي بينها وبين أوروبا فقد كان من الطبيعي أن يكون ملتقى الثقافتين العربية الإسلامية و الأوروبية العالمية، وفي سنة 1966م تم تعديل هذا القسم و أصبح اسمه، **شهادة الدراسات الأدبية و اللغوية المقارنة** أي أنه أقحم الدراسات اللغوية داخل الدراسات الأدبية[2].

أما في تونس فقد بدأ تدريس هذه المادة سنة 1972م، و قد تقرر إشراك أساتذة اللغات الفرنسية و الانجليزية و العربية في تدريس هذه المادة، و هناك مشاريع جامعية تعمل على توسيع

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 285.

[2] ينظر، المرجع السابق ص 285.

تدريس الأدب المقارن، و هناك مشاريع جامعية تعمل على توسيع تدريس الأدب المقارن، و لكن يعيب هذه المشاريع وجود الإطار النظري الذي يعرف حدود هذه المادة[1].و من أبرز تطورات الأدب العربي المقارن تأسيس **الرابطة العربية للأدب المقارن** عام 1983م و مقرها **عنابة**، و قد عقدت ثلاث مؤتمرات لحد الآن، الأول بعنابة سنة 1984م و الثاني بدمشق سنة 1986م و الأخير بمراكش سنة 1985م[2].

- **خصائص الاتجاه العربي في الأدب المقارن :**

الاتجاه العربي في الأدب المقارن يدرس التشابهات و الاختلافات و الأنماط، و ظاهرة التأثير والتأثر، و اختلاف أذواق المتلقي، و الترجمة و جمالية الأسلوب، و لكن دون أن يستغرق في دراسة التاريخ مثل المدرسة الفرنسية أو يبالغ في النقد مثل المدرسة الأمريكية أو يركز على أنماط المجتمع مثل المدرسة السلافية، بل يقترب كثيرا من المدرسة الألمانية في بعض منطلقاتها.

و من المؤسف أن أغلب أمم العالم قد أنشات لنفسها مدارس خاصة للأدب المقارن لها قواعدها و نظامها، في حين أن العرب مازالوا في مرحلة التجربة و الخطأ في هذا المجال، و لم يتجاوزها إلى مرحلة النظرية مكتملة الجوانب، كما حدث مع الأمم الأخرى، فحتى الآن نجد العرب مقلدين للمدرسة الفرنسية التقليدية، و أحيانا متنقلين بين المدارس العالمية، و لم يشكلوا لهم مدرسة خاصة تحمل السمات العربية التي تميزها عن غيرها من المدارس.

[1] د. يوسف بكار، د.خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 91.

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 92-93

الفصل الثاني

المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن.

(المفهوم و النشأة و التطور)

- مفهوم المدرسة الفرنسية :

هي أول اتجاه ظهر في الأدب المقارن في أوائل القرن التاسع عشر، و يطلق عليها المدرسة التقليدية أو المدرسة التاريخية، و استمرت سيطرتها كاتجاه وحيد في الأدب المقارن إلى غاية أواسط القرن العشرين أي قرابة القرن من الزمن تقريبا[1]، حيث ظهرت اتجاهات أخرى نازعتها في هذا التفرد.

لقد قامت هذه المدرسة على المنهج التاريخي، ولذلك تسمى بالمدرسة التاريخية، وتعرف "**فرونسوا غويار**" أحد أعلامها الأدب المقارن على أنه "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية"[2] أو هو العلم الذي يؤرخ العلاقات الخارجية بين الآداب[3]، و تقوم دراستها على استقصاء ظواهر عملية التأثير و التأثر بين الآداب القومية المختلفة و رصد الظروف الخارجية التي تحيط بكل من الأديب أو بالعمل الأدبي، سواء التاريخية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الروحية، و التي تسهم في حدوث ذلك التأثير.

و لعل هذه المهمة تظهر في هذا التعريف الذي يرى أن الأدب المقارن هو العلم المنهجي الذي ينشد دراسة روابط التشابه و القرابة و التأثير و التأثر بين الأدب و مظاهر المعرفة الإنسانية الأخرى، أو بين النصوص الأدبية نفسها، و هو ما يبدوا للوهلة الأولى متباعدا في الزمان و المكان، بشرط أن تنتمي إلى لغات أو ثقافات متعددة حتى لو كانت تدين لتراث مشترك واحد[4].

و لكن هذا الاتجاه التاريخي الذي ساد وقت طويلا يقارب القرن بدأ منذ خمسينات القرن العشرين يواجه نقدا شديدا من أنصار الاتجاهات الحديثة في النقد الأدبي، و نظرته للأدب، من

---

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 93.

[2] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الوطن العربي، دار غريب للطباعة والنشؤ و التوزيع، القاهرة دط2002 م ص 27.

[3] ماريوس فرو نسوا غويار، الأدب المقارن، ت هنري زغيب ص 15.

[4] محمد غنيمي هلال الأدب المقارن ص 25.

أطلق عليه اسم المدرسة الأمريكية من ناحية، و مجموعة دعاة منهج اجتماعية الأدب من ناحية أخرى[1] -المدرسة السلافية-.

إن المنهج الفرنسي هو فن تقريب الأدب إلى مجالات التعبير أو المعرفة الأخرى بطريقة منهجية عن طريق البحث عن روابط التشابه و القرابة و التأثير، أو تقريب الأحداث و النصوص الأدبية فيما بينها، بهدف وصفها و فهمها و تذوقها بطريقة أفضل[2].

إن ريادة فرنسا للأدب المقارن معترف بها تاريخيا، و لا يكاد ينكرها أحد، و أن منهجها هو أقدم المناهج الأوروبية و أشهرها و أقواها أبدا في هذا المجال، لأنها كانت متفوقة على غيرها من الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر[3]، حيث ظهر هذا المنهج مرتبطا بالنزعة القومية على الرغم مما في أهدافه من مسحة عالمية، و استكمل مفهومه المبدئي على يد نفر من منظريه أمثال **بالانسبرجية** في مقدمته **الكلمة و الشيء** للعدد الأول من مجلته **الأدب المقارن** سنة 1921م، و **"فان تيجم"** في كتابه **الأدب المقارن** سنة 1931م و **"جويار"** في كتابه **الأدب المقارن**[4].

و خلاصة ما دعا إليه أولئك الرواد الذين سبق ذكرهم أن الأدب المقارن هو دراسة علاقات التأثير بين الأدب الفرنسي و الآداب الأوروبية الأخرى، و دراسة الصلات بين الآداب القومية المختلفة دراسة تاريخية مؤيدة بالوثائق و المصادر، و كأن الأدب المقارن فرع من فروع تاريخ الأدب وهذا هو الذي يطلق عليه التيار التقليدي أو التيار التاريخي في المنهج الفرنسي[5].

- **نشأة المدرسة الفرنسية :**

[1] محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ط1 1992م ص16.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 17.

[3] د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن ص 81.

[4] كلود بيشوا، أندريه روسو، الأدب المقارن ترجمة أحمد عبد العزيز، ص 362.

[5] سعيد الوكيل، الأدب المقارن مدخل نظري و نماذج تطبيقية، ص 20.

لقد نشأت المدرسة الفرنسية في ظل خلفيات و أسس نظرية و فلسفية، تأتي في المقدمة منها النزعة التاريخية في دراسة الأدب، تلك النزعة التي انتشرت على نطاق واسع في فرنسا و في أوروبا على امتداد القرن التاسع عشر، يرى أصحاب هذه النزعة أن تاريخ الأدب هو، جزء كبير منه، مصادره ومواضيعه و مواده الأدبية التي تنتقل داخل الأدب القومي و بين القومية بصورة يمكن دراستها وتتبعها بالوثائق و الأدلة[1]، فالدراسة المقارنة لتلك الآداب تدل على وجود علاقات تأثير و تأثر بينها على أساس السببية الصارمة.

إن انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية، و هذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدال، أي أن يبين مصادر التأثر و واسطته و نتائجه.

ترافق انتشار النزعة التاريخية في الدراسات الأدبية مع انتشار نزعة أخرى هي النزعة الوضعية، و هي فلسفة ترى أن المعرفة الصحيحة هي التي تستند إلى تجريبية قابلة للمراجعة، أما المعرفة التي تقوم على التخمين و الحدس و التفكير و المقارنة فقط فهي غير موثوقة و لا يعتد بها.

انتقلت هذه النزعة إلى الدراسات الأدبية أيضا، و دعا أنصارها و أبرزهم الناقدان الفرنسيات "**سانت بوف Sainte Beuve**" و "**هيبوليت تين H. Tain**" إلى تحويل تلك الدراسات إلى علم موضوعي يقوم على أساس تجريبي كالعلوم الأخرى، و قد عبرت النزعة الوضعية عن نفسها في الأدب المقارن من خلال دعوة المدرسة الفرنسية التقليدية إلى اعتماد المنهج التجريبي في دراسات التأثير و التأثر، و ذلك بعدم الاكتفاء بوجود التخمين، بل البرهنة على وجوده بالأدلة و الوثائق الملموسة التي لا تدع مجالا للشك[2].

[1] أحمد زلط، الأدب المقارن، نشأته و قضاياه و اتجاهاته ص 42.

[2] د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص 8-11.

شكل هذا التلاؤم بين النزعتين التاريخية و الوضعية أساسا نظريا لما يعرف بالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن[1]، و هي مدرسة ترى أن الأدب المقارن علما يدرس علاقات التأثير و التأثر (أو التبادل) بين الآداب القومية بطريقة علمية صارمة، و قد أدى هذا الأساس النظري إلى ظهور اتجاه ساد الأدب المقارن ما يربو على قرن و ربع القرن من الزمان، و حوله إلى نوع من الدراسات الأدبية التي لا هم لها سوى تقصي علاقات التأثير و التأثر بين الآداب القومية بهدف المساهمة في تاريخها.

- **تطور المدرسة الفرنسية :**

لقد أخذ داسوا الأدب المقارن في فرنسا يهتمون بالأدب من حيث النشوء و الارتقاء، وراحوا في ضوء مناهج العلم التجريبي و الفلسفة الوضعية، ينظرون كيف ينشأ الموضوع و كيف ينموا، لينتقل في مراحل نموه و اكتماله من أدب قومي إلى أدب قومي آخر.

لقد ظهر هذا الاصطلاح الأدب المقارن على يد "**جون جاك أمبير**" فسمى أحد كتبه **التاريخ المقارن للفنون و الآداب لدى الشعوب كافة** و كان "**أمبير**" قد استخدم هذا المصطلح سنة 1828م في مجموعة من المحاضرات التي ألقاها، التي درس فيها أدب القرن التاسع عشر في فرنسا و انجلترا و ألمانيا[2].

أما "**فيلمان Villemain**" فيعده الدارسون الأب الروحي للدراسات المقارنة في فرنسا، فقد ألقي سنة 1829م محاضرة في **السربون** أسماها **استقصاء الأثر الذي تركه كتاب فرنسا في القرن الثامن عشر في الآداب الأخرى و في العقلية الأوروبية.**

و قد شهدت المرحلة الواقعة ما بين 1980م/1990م تقدما واضحا في مجال الدراسات المقارنة، فقد أصبح الأدب المقارن مادة أكاديمية في الجامعات الفرنسية، كما نشر "**جوزيف**

[1] عبده عبود، الأدب المقارن، مشكلات و آفاق، ص 27.

[2] د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن ص 12.

تكست Jozef Texte" أطروحة عن "**جون جاك روسو**" و عن مصادر عالمية الأدب و ذلك سنة 1890م، ليشغل بعدها كرسي الدراسات المقارنة في **جامعة ليون**، و لتنصب محاضراته على تحليل التأثيرات الألمانية في الأدب الفرنسي منذ عصر النهضة[1].

وفي الوقت نفسه كان "**لوي بول بتس**" يقوم بجهود منظمة في ميدان الدراسات المقارنة، ففي سنة 1895م كان قد فرغ من كتابة أطروحته التي تتناول تلقي الشاعر الألماني "**هاينريش هايني**" في فرنسا، لينشر سنة 1900م كتابا ضخما بعنوان **بيبلو غرافيا الأدب المقارن** تحدث في المقدمة عن أنواع المباحث التي يتناولها الأدب المقارن، و وقف عند المشكلات النظرية، ثم تحدث عن الدراسة المقارنة للآداب الحديثة[2].

و قد كان لتأثير دراسات "**جوستاف لانسون**" أستاذ الدراسات الأدبية في **السربون** نتائج مهمة على صعيد تقدم الدراسات المقارنة فكثرت الأطروحات في مجال الأدب المقارن، إضافة إلى صدور مجلتين مهمتين في الدراسات المقارنة هما، **مجلة الأدب المقارن** و **مكتبة مجلة الأدب المقارن** اللتين كان يشرف على إصدارهما "**بالدن سبرنجر Baldensprenger**" و **باول هازار Paul Hazarad**" الذي ألف كتابا تحت عنوان **أزمة الضمير الأوروبي** الذي ترجم إلى مختلف اللغات الأوروبية[3].

كما ظهر كتاب "**فان تيجم**" سنة 1931م تحت عنوان **الأدب المقارن** حيث تحدث في أبوابه الثلاثة عن نشوء الدراسات المقارنة، ثم عن مناهجها ثم أفرد الباب الثالث للحديث عن الأدب العام.

---

[1] ينظر، المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[2] ينظر، المرجع السابق ص 12.

[3] ينظر، المرجع نفسه ص 13.

أما "**غويار**" فقد وقف هو الآخر في كتابه **الأدب المقارن** سنة 1951م عند مناهج البحث في هذا الفرع، و يرى أن الأدب المقارن هو تاريخ العلاقات الأدبية الدولية و الدارس المقارن تبعا لذلك يقف على الحدود اللغوية للأدب القومي و يتابع حركة انتقال الموضوعات و الأفكار و الكتب و المشاعر بين أدبين أو أكثر[1].

لقد عانى المفهوم الفرنسي للأدب المقارن منذ نشأته الخضوع للنزعة التاريخية، و الولع بتغيير الظواهر الأدبية على أساس من حقائق الواقع، و عدم التناسق بين المنطلق القومي و الهدف العالمي، من هنا جاءت رؤية "**إيتاميل**" التي تجسدت في مقالة مركزية له بعنوان **أزمة الأدب المقارن** وجه فيها نقدا لمناهج الأدب المقارن في فرنسا من حيث خضوعها للمنهج التاريخي و الفلسفة الوضعية، فهو يرى أن الأدب المقارن سيتجه نحوه الشعر المقارن من خلال الجمع بين البحث التاريخي و التأمل النقدي و الجمالي، وهذا يعني أن على الدراسات المقارنة في رأيه للخروج من أزمتها أن تحترم بنية العمل الأدبي، و أن لا تقوم بتفتيش هذه البنية في ضوء فهم غير نقدي لعلاقات التأثير و التأثر[2].

- **مبادئ و أسس المنهج الفرنسي :**

لقد حدد رواد المدرسة الفرنسية منذ البداية الأسس و المبادئ التي بنو عليها مفهومهم لهذا العلم، فمعظم كتب الرواد أمثال "**ويلمان**" و "**جون جاك امبير**" التي ألفت في هذا المجال تحدثت عن هذه الأسس، و لعل من أهمها :

1- مسألة التأثير و التأثر

يقول "**تنجم**" في حديثه عن جهد الباحث المقارن و عن مسألة التأثر "فمن النادر في الواقع أن يكون أثر من الآثار الفكرية فريد من نوعه، معزولا عن غيره، فما من لوحة أو تمثال أو لحن أو

[1] ينظر، المرجع نفسه ص .14

[2] ينظر المرجع السابق ص 14.

كتاب، إلا و يدخل في زمرة من الزمر، شعر المؤلف بذلك أم لم يشعر، و على التاريخ الأدبي أن يضعه في موضعه من أنواع الأدب و صور الفن، ثم يزين أصالته بقياس ما ورث عن غيره، و ما أورث غيره[1]، ويقول "**تنجم**" في موضع آخر "ينبغي أن نفرغ كلمة مقارنة من كل دلالة فنية و نصب فيها معنى علميا، و تقرير المشابهات و الاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر، إنما هو نقطة البدء الضرورية التي تتيح لنا اكتشاف تأثر أو اقتباس أو غير ذلك[2].

و عند "**غيار**" يقول في دعواه التي تبطل أن يكون الأدب المقارن هو نفسه الأدب العام أو العالمي "و يبدوا أن هذين المطمعين هما ميتافيزيقيان أو غير مفيدين لدى أكثر المقارنين الفرنسيين، لأنه هناك حين تنعدم الصلة سواء أكان ذلك بين إنسان و نص أو بين إنتاج و بيئة متلقية، أم بين بلد و رحاله ينتهي محيط الأدب المقارن، و يتبدى محيط تاريخ الفكر المحض في دراسته التأثير و التأثر المتبادلين بينهما[3].

و يقول "**محمد غنيمي هلال**" في موضع آخر "أنه لا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة، لم تقم بينهم صلات تاريخية، حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير أو يتأثر به"[4]، و يقول أيضا "ولا يصح أن ندخل في حسابنا مجرد عرض نصوص أو حقائق تتصل بالآداب و نقده لمجرد تشابهها أو تقاربها دون أن يكون بينها صلة ما، نتج عنها توالد أو تفاعل من أي نوع كان"[5].

يتضح من هذه الأقوال التي ذكرها أن الأساس الذي قام عليه المفهوم الفرنسي هو مسالة التأثر و التأثير، لكن أتساءل هل مسألة التأثير و التأثر أيا كانت درجتها تعد من الأدب المقارن؟

---

[1] غويارأ الأدب المقارن ص 124.

[2] أحمد درويش الأدب المقارن، النظرية و التطبيق ص 75.

[3] رينيه ويلك، وارين أوستن، نظرية الأدب، ترجمة عادل سلامة، دار المريخ الرياض د ط 1992م، ص 121.

[4] ميشل روسو ، كلود، برونيل بيتر، ما الأدب المقارن ص 142.

[5] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 94.

لقد بين "**بول فان تنجم**" ذلك عندما قال "فمن النادر في الواقع أن يكون أثر من الآثار الفكرية فريد من نوعه معزولا عن غيره"[1]، و يقول "**بول فاليرى**" "لا يوجد شيء أكثر ابتكارا و لا أشد شخصية من أن يتغذى الإنسان من الآخرين، و لكن ينبغي هضم هذا الغذاء، فالحق أن الأسد مكون من كباش متحولة"[2]، فبعد أن يتأثر الكاتب لا بد أن يكون له أسلوب و طريقة و لمسته الخاصة التي يطبع أعماله بها، فإذا كانت عملية التأثر كلية، فإن هذا تقليد أعمى، يخرج من الأدب المقارن.

و من هنا نلاحظ أن "**تنجم**" يقول "على أن الكتاب قسمان صغار و كبار، أما الصغار فإنهم يبلغون في تقليدهم حد النقل و النسخ، و أما العظام فإنهم إذا انساقوا مع تيار التقليد إلى حين، لا يلبثون أن يعودوا إلى أنفسهم و يستردوا أصالتهم، و حتى حين يقلدون، فإنك ترى للأصالة في تقليدهم أثرا"[3].

و من هنا نجد الدكتور "**محمد غنيمي هلال**" يتكلم عن التأثر العكسي فيقول عن أحمد شوقي عندما كتب **مسرحية كليو باترا** فما راق له ما كتبه "**شكسبير**" عنها، فكتب شوقي بشكل مغاير و مختلف عما كتبه "**شكسبير**"[4].

2- الصلات التاريخية :

لقد ألزم المقارنون الفرنسيون أنفسهم بوجود صلات تاريخية بين الأدب المتأثر و الأدب المؤثر، فيقول "**غنيمي هلال**" "و كما أخرجنا من حساب الأدب المقارن ما يعقد من مقارنات بين آداب ليس بينها صلة تاريخية كذلك نود ..."[1].

---

[1] غويار، الأدب المقارن ص 87.

[2] شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية، مذاهب و مدارس في الأدب المقارن، مؤسسة عز الدين للطباعة لبنان، ط1، 1985م، ص 143.

[3] هورست فررنز، الأدب المقارن، المنهج و المنظور، ترجمة فؤاد عبد المطلب،د ط، د ت، ص 154.

[4] حسام الخطيب، الأدب المقارن في النظرية و المنهج ص 143.

لقد أصر المقارنون الفرنسيون على هذه النقطة كثيرا و وضعوا عناوين عن كيفية انعقاد هذه الصلات من رحلات و ترجمات و سفر الأدباء إلى الأدباء الآخرين أو غير ذلك و قد حدد "**تنجم**" لمؤرخ الأدب الفرنسي حتى ينهض بمهمته سبل الاتصال بقوله "هناك حالتان أولهما عن طريق الترجمة اللاتينية أو الترجمة الفرنسية، و الحالة الثانية المعقدة و هي أن يكون اتصال كتابنا بكتاب محدثين من أمم أجنبية"[2].

و هنا لا يخفي عن أحد هذه النزعة النرجسية، و هذا ما أكده "**آمبير**" في محاضراته حين قال "...و نعلن هذا التفوق فنحن أغنياء بالمجد"[3]، و يذكر الدكتور "**جمال شحيد**" في مقاله عن الأدب المقارن هذه النزعة بأنها تأثرت نوعا ما بالروح السياسية الاستعمارية السائدة في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

3- اختلاف اللغة :

و هذا ما أثاره "**تنجم**" في كتابه حين قال "ما هي حدود أدب من الآداب في عصر من العصور؟، ما هي الحدود التي إذا تعديناها جاز لنا أن نتحدث عن أدب أجنبي، و عن تأثير أو تأثر به؟، الجواب على هذا سهل، حيث ما تكون المساحة السياسية، كما هو الشأن بين فرنسا و انجلترا، أو بين فرنسا و إسبانيا، لكن هذا الارتباط غير متوفر في غالب الأحيان، و هناك حالات كثيرة يصعب أن نجد لها حلا، فكثيرا ما تكون اللغة السائدة في بلد من البلدان ممتدة إلى ما وراء حدوده، و هنا نتساءل، هل نلحق الآثار التي ظهرت فيما وراء هذه الحدود بالأدب القومي الذي تنتجه الأمة؟ أما الألمان فإنهم يعتقدون بذلك فيما يتعلق بهم، فتراهم يضعون الكتاب السويسريين والكتاب النمساويين في عداد الأدباء الألمان، و في فرنسا حيث الوحدة القومية مغرقة في القدم، وحيث الشعور بهذه الوحدة عميق قوي، فإننا نستحي أن ننسب إلينا من ليس منا، لكننا لأسباب

---

[1] محمد غنيمي هلال الأدب المقارن ص 158.

[2] ينظر، المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[3] رونيه ويلك، مفاهيم نقدية، ص 169.

بديهية نعد "**روسو**" و "**ديمستر**" كاتبين فرنسيين، رغم أن الأول من **جونيف**، و الثاني من **سافو**، ولهذا يمكن أن نقبل في عدادنا كتابا من سويسرا و بلجيكا لأنهم حوموا حول باريس كمركز أدبي، ولكننا ندع لسويسرا و بلجيكا بعض الأدباء لأنهم آثروا البقاء في بلادهم، و لذلك يجب ، نعد التأثيرات الفرنسية في الأدب الكندي المكتوب باللغة الفرنسية، و كذلك الكتاب الأمريكان بالنسبة للأدب الانجليزي على أنه من موضوعات الأدب المقارن"[1].

هذه النقطة التي آثارها "**تنجم**" مهمة و تطرح تساؤلات كثيرة حولها، "**فتنجم**" يستحي أن ينسب إليه من ليس منهم، و لكنه يستثني أدباء ليسوا فرنسيين، لكنهم كتبوا بتوجيهات فرنسية وبوحي من ثقافاتها، فهؤلاء يعدهم من الأدباء الفرنسيين، و يستبعد كتابا رغم أنهم كتبوا باللغة الفرنسية و لا يعدهم فرنسيين، فهنا يحدد "**تنجم**" حتى يكون الكاتب فرنسيا يجب أن يتعدى بثقافة فرنسية و بتفكير فرنسي محض، و يشير "**تنجم**" مسالة أن الأدب الأمريكي هل يمكن أن نعده أدبا انجليزيا، على أن كلا الأدبين كتبا بلغة واحدة، حيث يقول أنه لا يمكن أن نعدها أدبا واحدا، والسبب في ذلك أن لكل أدب ثقافته الخاصة به، و تجاربه النوعية في ذلك.

و لا بد أن نسال أنفسنا سؤالا، هل يمكن أن نعد من كتب باللغة الفرنسية أديبا فرنسيا أو يدخلون ضمن الأدب الفرنسي؟ "**فتنجم**" ينفي هذا إذا لم يتغذى غذاء كاملا بثقافة هذا البلد، وفي اعتقادي هذا صحيح، لأن الأديب لا يستطيع أن ننسبه إلى ذلك البلد بمجرد أنه كتب بلغته، فثقافة الأديب حتما ستكون مختلفة عن ثقافة هذا البلد.

4- حصر الأدب بالأدب :

لقد حصر المقارنون الفرنسيون أنفسهم بهذا الشرط، يقول "**تنجيم**" الأدب المقارن الحقيقي يحاول ككل علم تاريخي أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل حتى يزداد فهمه وتعليله لكل واحد منها على حدة، فهو يوسع أسس المعرفة كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من

[1] مجلة المعرفة العدد 110 ص 169.

الوقائع، أريد أن أقول ينبغي أن نفرع كلمة مقارنة من كل دلالة فنية و نصب فيها معنى علميا و تقرير المتشابهات و الاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر، إنما هو نقطة البدء الضرورية التي تنتج لنا اكتشاف تأثر أو اقتباس أو غير ذلك[1]، و من هنا نجد أن أحد الاعتراضات التي وجهت فيما بعد إلى المدرسة الفرنسية حصرهم المقارنة في مجال الأدب و نتيجة لانغلاق هذه المدرسة التقليدية و تشددهم في هذه الشروط و تمحور الأدب المقارن في المركزية الأوروبية الإقليمية، فقد انشق عن هذه المدرسة التقليدية "**رينه ايتامبل**" و أصبح له توجهات جديدة في ذلك، فقد حذر من المركزية الفوقية و الإقليمية للأدب المقارن التقليدي و من ابتعاده عن جوهر الأدب، و قد شكل ذلك النقد خطوة مهمة نحو تجاوز الاتجاه التاريخي الوضعي في الأدب المقارن.

و يقول "**رينه ايتامبل**" "إنني لا أفهم أن يكون للدراسة الأدبية إلا هدفان : التثقيف والإمتاع و دون شك فإن هؤلاء الذين يتعلمون الأدب ليعلموه ينبغي عليهم أن تكون معلوماتهم منظمة و أن تكون دراساتهم خاضعة لمنهج و موجهة نحو نقاط محددة أكثر دقة، بل و أقول أكثر علمانية من دراسات هواة الأدب، لكن لا ينبغي أن يغيب عن أعيننا شيئان، أحدهما أن الدارس الذي يكتفي بالتطبيق الحرفي للمنهج المنظم سوف يكون مدرسا رديئا للأدب لا يستطيع أبدا أن يطور لدى تلامذته على وجه خاص تذوق الأدب، و ثانيهما أن أحدا من المعلمين لا يستطيع أن يعطي لدروسه هذه الفعالية إذا لم يكن هاويا قبل أن يكون عالما[2].

من خلال هذا النص يلفت "**ايتامبل**" النظر إلى أن أولئك الذين يبالغون في إتباع الهيكل الخارجي للمنهج قد يجدون أنفسهم بعيدين عن مجال الدراسة الحقيقية للأدب، وقد لاحظ "**ايتامبل**" أثناء دراسته للشعر في فترة ما قبل الرومانتيكية في القرن الثامن عشر أن كل المواضيع التقليدية التي يتضمنها ذلك الشعر مثل الطبيعة و الحب العذري و الحساسية المرهفة و البكاء على

[1] ميشل روسو، كلود، بروينيل بير، ما الأدب المقارن ص 153.

[2] شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية، مذاهب و مدارس في الأدب المقارن ص 149.

الزمن الماضي تتشابه كثيرا بالشعر الصيني في عصر "**كيم بون**" الذي كان يعيش قبل الميلاد، و من هنا كان "**ايتامبل**" قد نسف شرط الصلات التاريخية، فإنه من الصعب تلمس أسباب محددة للاتصال التاريخي بين العصرين، كما أن الثقافة الموسوعية "**لايتامبل**" طبعت نزعته في الأدب المقارن بطابع الشمولية والكونية التي لا تحتقر مسبقا أية ثقافة أو أي شعب لأنها تقاوم كل عنصرية بدءا بالفوقية الأوروبية، من الموضوعات التي يقترحها "**ايتامبل**" مثلا للأدب المقارن في المستقبل تأثير الوضعية الفرنسية في أمريكا اللاتينية، العلاقات بين اليهود و المسلمين و المسحيين في الأندلس، و المؤثرات الغربية في الأدب الياباني بعد ثورة الميجي، تطور الأفكار العنصرية في أوروبا منذ اكتشاف أمريكا و إفريقيا السوداء.

لقد هاجم "**ايتامبل**" مواطنه "**غويار**" و اتهمه بالتعصب الإقليمي و القومي و بتركيز الضوء على الأدب الفرنسي فقط، و أيد معارضيه من الأمريكيين و غيرهم، و سخر منه حين أعاد طباعة كتابه الأدب المقارن سنة 1958م، و استغرب كيف أن "**غويار**" لم يشعر بالتطورات الكبرى التي حدثت في مفهوم الأدب المقارن في الخمسينات، و دعا "**ايتامبل**" زملاءه الفرنسيين إلى الخروج من الحلقة الضيقة للآداب الأوروبية، و إلى الاتصال بآداب الشرق الأقصى كالصين و اليابان و الاهتمام بحقول جديدة من المعرفة الأدبية مثل الأسلوبيات و العلوم البلاغية و علم البنية الأدبية[1]، و هكذا كان "**ايتامبل**" من الداعين إلى الانفتاح لهذا المفهوم الضيق الذي وضعه المقارنون التقليديون، و قد كانت دعواه مثمرة فيما بعد فقد سار بعض المقارنين الجدد على نهجه فجاء ممثلون جدد لهذا المفهوم، منهم "**بيربرونيل، كلود بشوا، و أندريه ميشل روسو**" هؤلاء كتبوا و بلوروا مفهومات جديدة في الأدب المقارن، فنرى كيف عرفوا الأدب المقارن تعريفا يوائم جميع مفاهيمه يقولون "الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث عن علاقات التماثل و القرابة و التأثير و تقريب الأدب من الأشكال المعرفية التعبيرية الأخرى، أو تقرير الأعمال و النصوص الأدبية من بعضها بعيدة كانت في الزمن أو في الفضاء شرط أن تنتسب إلى لغات متعددة أو

[1] ينظر، المرجع نفسه ص 150.

الثقافات مختلفة و إن كانت جزء من التراث الواحد و ذلك من أجل وصفها و فهمها و تذوقها بشكل أفضل[1].

هذه الدعوة التي وجهها المقارنون الجدد في تعريفهم للأدب المقارن تبدوا أكثر انفتاحا و أكثر معقولية في فهم الأدب، إنها دعوة لأن يقترب هذا المفهوم من حقيقته، و لو أننا نظرنا في هذا التعريف ليتبين لنا بعض الأشياء الجديدة، فهم يعتبرون الأدب المقارن فنا، و الفن يجب أن يحتوي على عناصر جمالية و يدعون إلى تقريب الأدب من الأشكال المعرفية و التعبيرية الأخرى، و هذه دعوة جديدة لأن ينفتح الأدب المقارن حتى يتقاطع مع ألوان جمالية و تعبيرية، و يدعون لتقريب الأعمال و النصوص من بعضها بعيدة كانت في الزمن أو في الفضاء، فالأدب الجميل يبقى أدبا خالدا لا يموت حتى بعد مئات السنين و يبقى مشعا يغري كل من يراه بأن يستمتع به و يتذوق جماله، و يضعون شرطا لهذا كله أن ينتسب إلى لغات أو ثقافات مختلفة، و هنا نقترب بطرف من كلام "**تيجم**" و نبتعد عنه بطرف، فعندما يقولون أو ثقافات مختلفة و إن كان جزءا من تراث واحد فإنه من الممكن أن نقارن أدبين أو أدبين أو كتابين أو غير ذلك، إذا كان من ثقافة مختلفة و ضمن تراث واحد، و يبقى الشيء الأهم في هذا التعريف قولهم من أجل وصفها و فهمها و تذوقها بشكل أفضل و من هنا نعود إلى كلام "**ايتامبل**" عندما قال "إنني لا أفهم أن يكون للدراسة الأدبية إلا هدفان، التثقيف و الامتاع[2].

أما تعريفهم الثاني الذي اقترحوه على سبيل الإيجاز فلم يغيروا من مفهومهم للأدب المقارن في شيء يقولون الأدب المقارن هو وصف تحليلي و مقارنة منهجية و تفاضلية و تفسير مركب بظواهر أدبية بين اللغات أو الثقافات من خلال التاريخ و النقد و الفلسفة من أجل الوصول إلى فهم جيد للأدب بوصفه وظيفة نوعية للروح الإنسانية[3]، من هنا نرى كيف ابتعد الفرنسيون الجدد

[1] رونيه ويلك، مفاهيم نقدية، العدد 110 ص 213.
[2] أحمد درويش، الأدب المقارن، النظرية و التطبيق ص 146.
[3] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ص 237.

عن المفهوم التقليدي للأدب المقارن من خلال المنهجية، فعلى المقارن أن يكون ملما إلماما كبيرا بالمناهج النقدية و التاريخ و النقد و الفلسفة، فلا يستغني عن أي فرع يخدم دراسته للوصول إلى فهم و تذوق صحيح لهذا الأدب الذي يرتقي بالروح الإنسانية.

- **رواد المدرسة الفرنسية :**

1- الجيل الأول : و هم الذين نظروا لمفهوم الأدب المقارن و منهجه و منهم :

- **بالاسبرجيه** : و ذلك من خلال مقدمته **الكلمة و الشيء** للعدد الأول من مجلته "**الأدب المقارن**" سنة 1921م.
- **فان تيجم** : في كتابه "**الأدب المقارن**" سنة 1931م.
- **جويار** : في كتابه "**الأدب المقارن**"[1].

2- الجيل الثاني : لقد انشق على الجيل الأول نفر من أتباع المنهج التاريخي أمثال :

- **روني ايتامبل** : الذي انتقد المنهج التاريخي الذي اعتمده الممثلون التقليديون للمنهج و أخذ عليه نزعة المركزية الأوروبية، و لهذا أطلق عليه "**روني ويلك**" لقب المتمرد أو المغرد خارج السرب.
- **روني ايتامبل و كود بشوا** : لقد رفض حصر الأدب المقارن في دراسة العلاقات الخارجية للأدب و ركز على العلاقات الداخلية للنصوص، و هو ما يعرف بـــأدبية الأدب في مناهج النقد الشكلاني[2].

و هناك رواد آخرون أمثال :

- **أندريه روسو**

[1] د. يوسف بكار، د. خليل الشيخ، الأدب المقارن ص 80.

[2] ينظر، المرجع نفسه ص 80.

- **سيمون جون**
- **سانت بوف**

- **في نقد المنهج الفرنسي :**

إن من يمعن النظر في الأسس و الشروط التي و ضعتها المدرسة الفرنسية للدراسة المقارنة يلمس بكل وضوح طغيان و تقدم البعد الإيديولوجي فيها عن البعد الأكاديمي العلمي، لأن تقسيم الآداب و الثقافات العالمية إلى موجبة و سالبة، و ربطها بعملية الاستعمار أي ثقافة الدول المستعمرة و أدبها موجبة، و ثقافة و أدب الدول المستعمرة سالبة، و طبعا على رأسها الثقافة و الأدب الفرنسيين، هي الموجب باعتبارها المستعمرة المالكة للأدب الراقي و الناقلة للحضارة، و الثقافات والآداب العربية و الإفريقية و الأسيوية هي السالبة لأنها ثقافة و آداب الدول التي تتخبط تحت الاستعمار، و لا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى[1].

و كذلك ما يتعلق بربط القومية بعنصر اللغة فقط و إهمال كل العناصر الأساسية و الجوهرية الأخرى المشكلة للقومية، و التي تعتبر أكثر أهمية من اللغة ليس له مبرر، و لم يبن على أساس علمي، و إنما بني على أساس إيديولوجي بحت، الغرض منه هو ترسيخ الاستعمار الفكري الأوروبي عموما، والفرنسي خصوصا.

و كذلك خدمة النزعة "**المركزية الأوروبية Eurozentrismus**" و هي تلك النزعة الإيديولوجية التوسعية المتعالية التي تخدم مساعي الهيمنة الثقافية الأوروبية، و التي شكلت مكونا هاما من مكونات العقلية الاستعمارية الأوروبية في تلك الحقبة التي نشأت فيها المدرسة الفرنسية التقليدية[2].

[1] عبده عبود، الأدب المقارن، مشكلات و أفاق ص 31.

[2] ينظر المرجع نفسه ص 32.

إن دراسات التأثير و التأثر التي وضعتها المدرسة الفرنسية كشرط أساس في المقارنة استبعدت الجوانب الجمالية و الذوقية للأدب، و حدت في الوقت نفسه من جدوى تلك الدراسات و دورها العلمي و الثقافي، و تحول عالم الأدب المقارن إلى مؤرخ بالمعنى الصارم الضيق للكلمة، أي إلى شخص يجمع الوثائق و المصادر و الوسائط المتعلقة بالعلاقات الخارجية للآداب و منعه من عقد أي مقارنات خارج ذلك الإطار بمعزل عن علاقات التأثر و التأثير، بدعوة أن ليس لتلك المقارنات قيمة معرفية، لذلك شبهها "**غنيمي هلال**" بالدراسات العقيمة.

و أقامت تلك الدراسات جدارا مصطنعا بين الجوانب التاريخية و بين الجوانب الجمالية والذوقية لدراسة الأدب، أي بين تأريخ الأدب و النقد، فدراسة الأدب دراسة تاريخية صرفة تتجنب الخوض في الأمور النقدية بصورة مطلقة، هي ضرب من الوهم، فليس بوسع مؤرخ الأدب مهما كان موضوعيا أن يتخلى بصورة تامة عن التذوق و التقييم واضعا ذاته على الرف.

و يقول الدكتور "**عبده عبود**" "إن دراسات التأثر و التأثير هي سهلة، فبمجرد أن تعرف الوسائط تستطيع أن تعقد المتشابهات بين الآداب و تقرر التأثيرات و نبحث عن كيفية انتقالها[1].

لكن كيف نفسر ظواهر التشابه بين الآداب التي لم تقم بينها علاقات التأثير؟، و من هنا فالمدارس الحديثة قد وضعت يدها على هذا السؤال و وجهت أبحاثها نحوه، و وجه كثير من النقد للمفهوم الفرنسي التقليدي، و هذا ما دعا "**رونيه ويلك**" بأن يصف هذه الدراسات بعملية مسك الدفاتر لنشاطات الاستيراد و التصدير التي تتم بين الآداب القومية.

هذه الأسس التي وضعتها المدرسة الفرنسية جلبت لها عدة انتقادات من الفرنسيين أنفسهم قبل غيرهم، و الذين كان على رأسهم المقارني الفرنسي "**رينيه ايتامبل**" الذي رفض و انتقد بشدة هذه الأسس و المبادئ، و هو ذات السبب الذي جعل جيلا جديدا من المقارنين الفرنسيين

[1] بول تيجم، الأدب المقارن، ترجمة سامي مصباح الحامي بيروت دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص 72.

ينشقون عن تلك الأفكار التي تبنتها هذه المدرسة و الأسس الإيديولوجية التي قامت عليها أمثال "برونيل **P prunel** و بشيوا **GL Pichois** و روسو **AM Rousseau** [1].

[1] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا و عالميا، دار الفكر، دمشق سوريا ،1999م ط2. ص 108

أعلام البحث :

- **بالد نسبرجرافرناند Baldensperger Fernand (1871م/1958م)** : هو أستاذ في الأدب المقارن، و كاتب فرنسي من أصل ألزاسي، ولد في مدينة دييه، و توفي في باريس، تخصص في مجال الأدب المقارن، و عمل على نشر مفهوم هذا الأدب و جلاء جوانبه بعد ارتقاءه كرسي الأدب المقارن في جامعة ليون إثر وفاة (**جوزيف**) نكست سنة 1900م، انتقل إلى باريس و صار أستاذا للأدب المقارن في السوربون سنة 1910، بعد إحداث كرسي خاص لهذا الفرع الجديد فيها[1].
- **آبل فرانسوا فيلمان Apel François Villemain (1790م/1870م)** : ولد في باريس و توفي بها، كان مترجما و ناقدا، و له العديد من المؤلفات الأدبية درس في جامعة السربون التاريخ و البلاغة بين سنتي (**1816م/1826م**)، و كان محاضرا أيضا في معهد الصف الخاص و محررا في صحيفة الحوارات و كذلك في مجلة باريس، حصل على مرتبة النبالة سنة 1832 و عين وزيرا للمعارف العامة بين سنتي (**1839م/1848م**).

كان له منحنى جديدا في النقد الأدبي إذ ركز على علاقة الأدب بالتاريخ و قدم دراسات مقارنة في الأدب الفرنسي و الآداب الأوربية الأخرى، من كتاباته: قصيدة لاسكاريس (Lascaris) حول نضال اليونان من أجل الاستقلال 1835م و "صورة عن البلاغة المسحية من القرن الرابع 1853م[2].

[1] الموسوعة العربية العالمية المجلد الرابع ص 649.

[2] الموسوعة العربية العالمية المجلد الخامس عشر ص 46.

- **سانت بوف شارل أوغستان Sant Beuve charles Augustin (1804م/1869م)** : هو كاتب و ناقد فرنسي، كتب العديد من الدراسات التي كان لها تأثير مهم في تاريخ النقد الأدبي، ولد في بولوني- سور- مير Boulogne Sur Mer ثم تابع دراسته في باريس فدرس البلاغة و الفلسفة ثم بدأ بدراسة الطب، انظم إلى مجموعة سيناكل Conacle التي كانت مهد الحركة الإبداعية الرومسية في فرنسا.

بدأ سانت بوف بنشر دراسة واسعة من كتاب الجانسنية "بور روايال" 1840م/1853م Port Royal، تبعتها دراسة في شاتوبريان و مجموعته الأدبية في الحقبة الامبراطورية سنة 1861م.

كان النقد الأدبي عنده علما أدبيا مبنيا على التاريخ الطبيعي للفكر، كما كان منهجه وصفي تحليلي يهدف إلى فهم عميق للكاتب و حقيقته، فقد نجح في التأريخ للمؤسسات الأدبية و لدور الأجيال الفنية و كيفية تشكيل صورة الكاتب في علم اجتماع الأدب[1].

- **جان جاك روسوا Jean Jacques Rousseau (1712م/1778م)** : شهد عصر التنوير (Siecle des Lumieres) ميلاد الأديب الفرنسي الذي ناهض ظواهر التعسف و القمع و احتكار الثروات التي سادت في القرن الثامن عشر، لقد اجتاحت أوروبا في القرن السادس عشر موجة من الحروب الدينية امتدت لقرنين من الزمن، و خلفت مشكلات اجتماعية عديدة كان من نتائجها الحتمية أن حدثت هجرات كثيرة لعائلات مختلفة من مناطق أخرى[2].
- **مدام دي ستايل Madame de Stael (1876م/1817م)** : كانت الأديبة والناقدة جيرمين نيكر Germaine Necker التي عرفت بمدام دي ستايل من أوائل الذين اهتموا بما يعرف الآن بالأدب المقارن، أثر عملها الأدبي في ازدهار المذهب الرومنسي

[1] الموسوعة العربية المجلد العاشر ص 626.

[2] المصدر نفسه ص 57.

في الأدب الفرنسي، و هي من دعاة نظرية التقدم في الأدب، حيث أحست أن الأدب هو امتداد للمجتمع، و لهذا يجب أن يعكس التغير الاجتماعي، و قد أكدت في أعمالها النقدية مثل : "عن الأدب 1800م"، و "عن ألمانية 1810م"، أن الحكم يجب أن يكون نسبيا و ليس مطلقا، و في كتابتها عن ألمانيا قدمت الثقافة الألمانية و المفكرين العظام[1].

- **رونيه ويلك René Willek (1903م/1995م)** :

هو ناقد و مؤرخ أدبي من أصل سلافي، ولد في فيينا، درس الأدبين الإنجليزي و الألماني في جامعة شارليز في مدينة براغ، ثم حصل الدكتوراه سنة 1926م برسالة حول الكاتب الإنجليزي : توماس كارلايل و الرومنسية.

ألف كتابه المشهور و الموسوم بنظرية الأدب مع أوستن وارين و نشر سنة 1949م، ثم توانت طبعاته ببعض التعديلات و ترجم إلى حوالي ثلاث وعشرين لغة، و ارتبط اسمه لدى الكثيرين بما يعرف بالنقد الجديد، و هو التوجه الذي يدعو إلى دراسة العمل الأدبي كمعطى جمالي شكلي معزول عن السياقات الخارجية، و على مستوى آخر عرف بقيادته لتوجه الدراسات المقارنة أو ما يسمى بالمدرسة الأمريكية، حيث دعى إلى رفض القيود التاريخية و الإقليمية بالأدب و دراسته بدلا من ذلك على نحو يتجاوز تلك القيود[2].

- **فيكتور ماكسيموفيش جيرمونسكي V.M Girmounski (1971م/1891م)** : أكاديمي روسي، عالم و منظر و مؤرخ في قضايا الأدب و الفولكلور، واحد من أبرز علماء الأدب في روسيا، مؤسس المطية التيبولوجية Typology ، و أشهر علماء التجربة السلافية في الأدب المقارن على الإطلاق، و من مؤلفاته في هذا المجال : "بايرون و بوشكين من تاريخ الملحمة الرومانية" 1924م، "علم الأدب المقارن و قضية المؤثرات الأدبية" 1936م ، و كتابه الشهير "علم الأدب المقارن شرق و غرب".

---

[1] الموسوعة العربية، أعلام و مشاهير، المجلد العاشر ص 701.

[2] الزركري، خير الدين، الأعلام، بيروت 1980م ص 267.

- **فخري أبو السعود (1328ه/1359ه) (1909م/1940م) :**

شاعر و ناقد مصري ولد في بنها و نشأ و درس فيها، ثم التحق بالقسم الأدبي في مدرسة المعلمين العليا في القاهرة، و تخرج منها سنة 1931م، أوفد في بعثة علمية إلى بريطانيا سنة 1932م فدرس الأدب الإنجليزي ثم عاد إلى وطنه ليشتغل بالتأليف و الترجمة و البحث، عرف بدراساته المقارنة بين الأدبين العربي و الإنجليزي نشرت مسلسلة في مجلة الرسالة بين سنوات (1934م/1937م)، و جمعت في كتاب "في الأدب المقارن و مقالات أخرى" وصدرت في سنة 1997م[1].

- **محمد غنيمي هلال** : ناقد و أديب مصري ولد في سلامنت، محافظة الشرقية مصر سنة 1971م، تلقى علومه حتى الثانوية في الأزهر الشريف، حصل على دكتوراه الدولة في الأدب المقارن من جامعة السربون في باريس، اشتهر بكتابه الموسوم "الأدب المقارن" 1953م الذي من خلاله يعرف القارئ العربي على المنهج الفرنسي في الدراسات المقارنة، و ظل هذا الكتاب مرجعا في الأدب المقارن لأكثر من عقدين بالجامعات العربية، توفي سنة 1968م.[2]

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ : الأدب المقارن ص9.

[2] حسام الخطيب : أفاق الأدب المقارن عالميا و عربيا ص 267.

الخاتمة :

تناول هذا البحث دراسة وصفية و تحليلية للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن، و قد أفضى إلى النتائج الآتية :

- الأدب المقارن هو فرع من فروع المعرفة يتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر، ينتمي كل منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر.
- الأدب المقارن يمكن أن يعرف بأنه العلم الذي يبحث عن التأثر و التأثير في الأدب، على جميع المستويات، سواء أكان ذلك بين كاتب و كاتب آخر أو بين تيار فكري و تيار فكري آخر، كما أنه يبحث في انتقال الأنواع الأدبية من أمة إلى أمة في الأخذ و العطاء بين الشعوب على مختلف مراحل نموها.
- يعتبر الأدب المقارن واحدا من الآداب التي ظهرت في البلاد الغربية، و خاصة دولة فرنسا التي ازدهر بها هذا العلم بشكل كبير فأكسبها صفة الريادة عن باقي الدول الغربية الأخرى.
- تنظر المدرسة الفرنسية للأدب المقارن على أنه علم يقوم بتدريس التأثيرات المختلفة بين الآداب و بعضها، كما تشترط بوجوب وجود صلة بين أي عمل أو ظاهرة أو حتى أدب يتم عمل مقارنة بينهما.
- إن من مهام الأدب المقارن عند المدرسة الفرنسية تمكين العلاقة بين الثقافات المختلفة و كذلك الأمم.
- إن الشروط الصارمة التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية، و نخص بالذكر منها : التأثر و التأثير، و اختلاف اللغة أدى إلى تعرضها للنقد خاصة من جهة الأمريكيين و على رأسهم "**رونيه ويلك**"، و قد تجلى ذلك من خلال محاضرته التاريخية بعنوان **أزمة الأدب المقارن**، و التي وجه من خلالها نقدا لا مثيل له في حدته للمدرسة الفرنسية التقليدية محاولا من خلاله نسف كل أسسها و مرتكزاتها.

- لقد اهتم العرب كغيرهم من الغربيين بالأدب المقارن و تجلى ذلك من خلال تدريسه في الجامعات، لكنهم عجزوا عن تأسيس منهج عربي في الدراسات الأدبية المقارنة على الرغم من أنهم كانوا السباقين من غيرهم في مثل هذه الدراسات.

و في الأخير ما يسعنا إلا الاعتراف بفضل المدرسة الفرنسية و ريادتها في مجال الأدب المقارن كونها سباقة تاريخيا على غيرها من المدارس الأخرى، بل كانت سببا في وجودها.

كما لا ننسى دور أستاذنا الكريم الدكتور لطروش الشارف الذي رعى هذا البحث و وجهه حيث يكون، فكان بمثابة القائد في هذه الرحلات التي قمنا بها في بحثنا، فله منا جزيل الشكر و الامتنان، دمت فخرا لنا و لجامعات الجزائر كلها.

قائمة المصادر و المراجع :

1- أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الوطن العربي، دار غريب للطباعة والنشؤ و التوزيع، القاهرة د ط2002م.

2- أحمد زلط، الأدب المقارن، نشأته و قضاياه و اتجاهاته، هبة النيل العربية للنشر و التوزيع الجيزة، د ط 2005م.

3- إبراهيم عبد الرحمن، الأدب المقارن بين النظرية و التطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر د ط 2000م.

4- الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله و تطوره و منهاجه، دار المعارف 1119 كورنيش النيل القاهرة ط1، 1987م.

5- بول تيجم، الأدب المقارن، ترجمة سامي مصباح الحامي بيروت دار الفكر العربي، د ط، د ت.

6- حسام الخطيب، الأدب المقارن، في النظرية و المنهج ، جامعة دمشق، د ط 1982م.

7- حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا و عالميا، دار الفكر، دمشق سوريا ،1999م ط2.

8- حيدر محمد غيلان، الأدب العربي و دور الأنساق الثقافية، مجلة دراسات يمنية، العدد 80، مركز الدراسات و البحوث اليمني يناير، مارس 2006م صنعاء الجمهورية اليمنية.

9- دانييل هنري باجو، الأدب العام و المقارن ترجمة غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط 1997م.

10- رنيه ويلك، وارين أوستن، نظرية الأدب، ترجمة عادل سلامة، دار المريخ الرياض د ط 1992م

11- ريمون طحان، الأدب المقارن و الأدب العام، دار الكتابي البناني بيروت د ط 1972م.

12- سعيد الوكيل، الأدب المقارن، مدخل نظري و نماذج تطبيقية، د ط،ـــ د ت.

13- شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية، مذاهب و مدارس في الأدب المقارن، مؤسسة عز الدين للطباعة لبنان، ط1، 1985م.

14- طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، د ط، د ت.

15- عبده عبود، الأدب المقارن، مشكلات و آفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، د ط 1999م.

16- علوش سعيد، مدارس الأدب المقارن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي- 1987م.

17- فيكتور مكسيموفيتش جيرمونسكي، علم الأدب المقارن، شرق و غرب، ترجمة و تقديم د غسان مرتضى، ط 1، حمص 2004م.

18- كلود بشوا، أندريه روسو الأدب المقارن، ترجمة أحمد عبد العزيز ط 3، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ط3، 2001م.

19- كلود بشوا، أندريه ميشال روسو بير برونيل، ما الأدب المقارن ترجمة الدكتور غسان السيد، منشورات دار علاء الدين دمشق ط 1، 1996م.

20- محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ط1 1992م.

21- محمد عنيمي هلال : الأدب المقارن –دار النهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع د ط 1998م.

22- ما ريوس فرونسوا غويار، الأدب المقارن ترجمة هنري زغيب، ترجمة عويدات، بيروت لبنان ،ط 2، 1998م.

23- هورست فررنز، الأدب المقارن، المنهج و المنظور، ترجمة فؤاد عبد المطلب،د ط، د ت.

24- يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات د ط 2008م.

الفهرس :

- المقدمة : 01
- المدخل : الأدب المقارن : المفهوم و النشأة.
- نشأة الأدب المقارن: 04
- مفهوم الأدب المقارن : 07
- أهميته: 11

الفصل الأول : مدارس الأدب المقارن : النشأة و التطور.

- المبحث الأول : المدرسة الأمريكية: 17
- المبحث الثاني : المدرسة السلافية الروسية) : 26
- المبحث الثالث : المدرسة الألمانية: 30
- المبحث الرابع : العرب و الأدب المقارن: 36

الفصل الثاني : المدرسة الفرنسية : النشأة و التطور.

- المفهوم : 44
- النشأة و التطور : 45
- المنهج و الخصائص : 49
- الرواد : .....
57
- في نقد المنهج الفرنسي : 58
- أعلام البحث : 61
- ملخص البحث : 65
- الخاتمة : 65
- قائمة المصادر و المراجع.
- الفهرس.

- **ملخص البحث** :

تناولنا في هذا البحث التعريف بالمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن حيث بينا نشأتها و المنهج النقدي الذي سارت عليه، و هو منهج يختلف عن مناهج مدارس الأدب المقارن الأخرى، ثم عرفنا بأهم أعلامها المؤثرين و منجزاتهم العلمية في الأدب المقارن حيث ساهموا في إثراء الدراسات المقارنة وأسسوا لنقاش علمي شارك فيه باحثون في تخصصات مختلفة في الآداب و العلوم الإنسانية.

الكلمات المفتاحية : المدرسة الفرنسية، الأدب المقارن، المدرسة الأمريكية، المدرسة الروسية، المدرسة الألمانية.

Résumé :

Dans cette recherche, nous avons traité les caractéristiques de l'école française de littérature comparées, ou nous avons expliqué sa création et l'approche critique qu'elle a suivie et sa méthode qui diffère des programmes d'autres écoles de littérature comparée et qui a participe au progrès immenses des études comparatives dans le monde et entres les chercheurs de diverses disciplines, dans les arts et les sciences humaines.

Les Mots Clés :

Ecole française, littérature comparée, Ecole américaine, Ecole russe, Ecole allemande.